٢٩٩

# البعث الإسلامي

شهرية إسلامية جامعة

٦٤٧٦
١٠٣٢٥٦
جزائر

تصدرها ندوة العلماء، لكهنؤ (الهند)

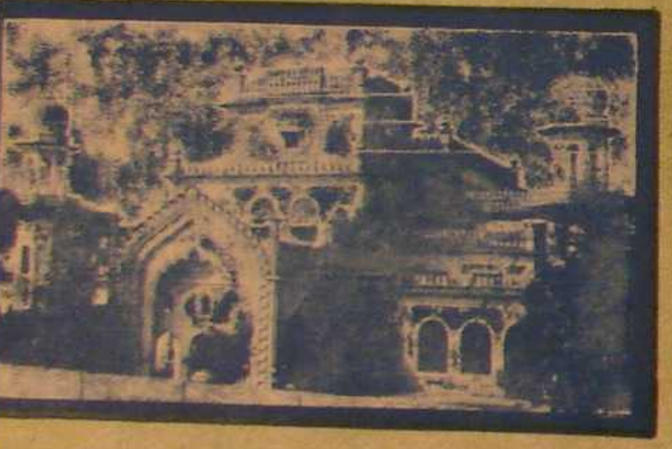

★ العـــدد الأول
★ المجلد الثامن والعشرون
★ رمضان ١٤٠٣هـ
★ يونيو و يوليو ١٩٨٣م

شعارنا الوحيد

٩٨٢٩
١٠٣٢٥٦
جامعة


# البعث الإسلامي

شهرية إسلامية جامعة

أنشأها

فقيد الدعوة الاسلامية

الأستاذ محمد الحسنى

( رحمه الله تعالى )

فى عام ١٣٧٥هـ ١٩٥٥م

العدد الأول

المجلد الثامن

و العشرون

رمضان ١٤٠٣ هـ

يونيو و يوليو

١٩٨٣م


## أخى المسلم

أخى فى العقيدة و الدين لا فى التراب و الطين ، أخى على درب الايمان و الجهاد ، و طريق الشوك و القتاد ، أخى فى النضال و الكفاح و التضحية و الفداء ، أخى فى الحق و الصبر فى الوطن و المهجر ، أخى فى مهبط الوحى و منبع الصبح الصادق فى ليل الانسانية الغاسق ، أخى فى زهرة الصحراء و درة الخليج بين الرياح العاتية و الأمواج الثائرة ، أخى فى اليأس و الرجاء و الشدة و الرخاء ، أخى فى الله ! نقدم إليك هذه المجلة سلاحاً لك فى وجه الباطل ، زاداً لك فى طريق الايمان ، عوناً لك على نوائب الحق ، نصراً لك فى صراع النور و الظلام و معركة الجاهلية و الاسلام ، فليكن دورك فيها دور مرابط على الثغر ، حارس للأمانة ، أكثر من دور مشترك رسمى فى مجلة ، أوزبون فى محل تجارة !

[ محمد الحسنى - رحمه الله ]


المراسلات :

البعث الإسلامي

ندوة العلماء - ص.ب ٩٣

لكهنؤ — الهند

Albaas - el - Islami

NADWAT- UL - ULAMA

P. O. Box No. 93

LUCKNOW ( I N D I A )



رئاسة التحرير

سعيد الأعظمى الندوى

واضح رشيد الندوى

# محتويات العدد


أخى القارىء ..... ٣

هذا عطاؤنا ... يعم الناس جميعاً ! سعيد الأعظمى ٤

**التوجيه الاسلامى**

مصدر الشقاء والاضطراب فى العالم الاسلامى سماحة الشيخ السيد أبى الحسن الندوى ١٠

تراثنا الحضارى والثقافى بحاجة إلى نظرة وأمانة د/ توفيق محمد شاهين ٢٠

**الدعوة الاسلامية**

نماذج التوحيد من البيان القرآنى الأستاذ عبد الله محمد الحسنى ٣٤

وجوب التوبة إلى الله والضراعة إليه عند نزول المصائب سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ٤٢

**من بحوث الندوة العالمية للأدب الاسلامى**

الأدب الاسلامى فى تراثنا التاريخى والجغرافى الأستاذ الدكتور فتحى عثمان ٤٨

الأدب الاسلامى وصلته بالحياة فضيلة الأستاذ محمد الرابع الحسنى الندوى ٥٤

**دراسات و أبحاث**

طريق ( عملى ) لوحدة المسلمين الدكتور عبد الحليم عويس ٦٧

آراء الامام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى الأستاذ سلمان الحسينى الندوى ٧٦

فصل جديد فى مسلسل العدوان و التشريد الدكتور غريب جمعة ٨٠

**صور و أوضاع**

موازين مقلوبة لحرية الرأى واضح رشيد الندوى ٨٥

معاقبة العمال فى عيد العمال » » » ٨٩

**العالم الاسلامى**

الشيخ عبد القدوس الأنصارى فى ذمة الله فضيلة الأستاذ محمد الرابع الحسنى الندوى ٩١

أسبوعان فى ندوة العلماء الدكتور عبد الحليم عويس ٩٤

**أخبار اجتماعية و ثقافية**

احتفال الأزهر بالعيد الألفى قلم التحرير ٩٦

*زيادة علمية وثقافية *كتب حديثة » » » ٩٧


# أخى القارىء

« مجلتكم اسمها « البعث الاسلامى » ، هل تعبر المجلة عن مرحلة البعث الاسلامى » ؟

هذا السؤال بالضبط وجهه إلى كاتب إسلامى شهير ، و بالتالى داعية و مفكر إسلامى !

فقلت له رداً على سؤاله :

إننى لا أدعى بأن المجلة تعبر عن مرحلة البعث الاسلامى مأة فى المأة ، و لكننى أقول بشئ من الاعتزاز : إن هذه المجلة سماها سماحة مربينا الجليل العلامة أبى الحسن على الحسنى الندوى بهذا الاسم فى وقت لم يكن يدور فى خلد الناس مثل هذا التعبير الجميل ، الذى يعنى العودة إلى الاسلام من جديد ، أوبمعنى الانتفاضة الاسلامية ، و إن تأسيس المجلة على أساس هذا المعنى و تسميتها بهذا الاسم يوفر دليلا على أنها التزمت بالهدف الذى توخته منذ أول يومها ، و تابعت سيرها على خط « البعث الاسلامى » بموادها الهادفة و بحوثها الموضوعية و دراساتها العلمية .

ومن هنالك نستطيع أن نتأكد تعبير المجلة عن البعث الاسلامى ، خاصة و هى مستمرة فى أداء رسالتها منذ ٢٨/ عاماً من غير انقطاع ، فانها ما دامت تواصل رحلتها ستبلغ إلى الغاية اليوم أو غداً باذن الله تعالى .

و لو لا أن المجلة نجحت إلى حد كبير فى التعبير عن معنى البعث الاسلامى لما كسبت لها قراء معجبين بها ، و أصدقاء من أصحاب الأقلام الرفيعة و الكتابات الهادفة البناءة .

سعيد الأعظمى

الافتتاحية :

# هذا عطاؤنا . . . يعم الناس جميعاً !

مجرد « الانسان » من غير تقيد بمذهب أو منهج ، مضمون المستقبل على أساس العمل الدائب والسعى المتواصل ، الذى يقوم به للتوصل إلى الهدف المنشود ، و لتحقيق غاية يخلص لها و يتفانى فى سبيلها ، و لقد سجل التاريخ قديماً و حديثاً ، تجارب البشر من الأمم والشعوب المختلفة ، ممن لم تكن لهم مكانة بين شعوب العالم ، و لكنهم أدركوا السر فى تقدم الأفراد و الجماعات ، و علموا أن الولاء العملى للهدف لكفيل بخروجهم من حزام الخمول و البطالة و الدخول فى مناعة العز و الكرامة ، هذه القاعدة الطبيعية تعم الانسان من كل مذهب وجنس ، ولاتتوقف على أيدولوجيات أو فلسفات أو خصائص و مميزات قومية و وطنية ، بل الواقع أن مجرد الانسان رغم اختلافه فى الموازين الخلقية و الأحجام العقلية ينال العطاء بقدر ما يطلبه و يسعى إليه .

ترون أن خالق البشر لم يفرق بينهم على أساس دينى أو التزام مادى ، فى هذا العطاء الربانى ، ولكنه أعلن مدوياً مجلجلا أن كل إنسان متساو فى المنحة والمدد ، فان ركز على الفوائد المادية و الأرباح العاجلة فحسب ، و انصرف عن معطيات الحياة الآخرة و مكاسبها الطيبة ، وجدها بحكم الانصاف فى حياته الدنيا ، و إن كان الشعور الدينى و الطبيعة الحقة يدعوان صاحبهما إلى الفوز بالعطاء الحقيقى و التمسك بذيل الآخرة و السعى لها ، و لا شك فان الانسان المؤمن إنما يحن إلى عطاء الآخرة و يراه ماثلا أمام عينيه ، إلا أن نتائج السعى تتوقف على إنسانية الانسان فى الدنيا ، لا على نظرته الدينية أو المادية التى لها اعتبارها فى ميزان الحساب يوم الحساب « من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ، ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً ، ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً ، كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً » أمامنا اليوم أمثلة حية للشعوب التى لم يكن لها كبير وزن فى الميزان الحضارى





و الصناعى ، و لكنها اعتمدت على السعى و العمل و شمرت عن ساق الجد فى مجالات التقدم المادى من غير يأس عن المستقبل المضمون و بكل ثقة فى النجاح المعلوم ، فأحرزت انتصاراً كبيراً فى عالم التصنيع وحققت معجزات فى تكنولوجيا العلم والعقل الالكترونى ، و وصلت إلى القمة فى الابداعات ، وباستخدام العقول الالكترنية أدهشت علماء الطبيعة و دول العلم و الحضارة .

لقد تمكنت تلك الشعوب من إثارة الدهشة و الاستغراب فى جميع الأوساط العالمية على أساس الاهتمام الكبير الذى بذلته و تبذله فى التقدم العلمى و الصناعى ، و قامت بنشر هذا العطاء و بث فوائده فى المجتمعات البشرية شرقاً و غرباً و فى بلاد العالم و شعوبها كلها . وقد اعترف الناس فى كل مكان بفضلها الابداعى وتقدمها العلمى و الصناعى ، و استفادوا من عطائها من غير تمييز بين أن يكون حامل ذلك العطاء و صاحبه مسلماً أو غير مسلم .

إن عطاء الاسلام يعم البشر كلهم سواء ، ليس هناك مايجعل المسلم صاحب العطاء و غيره آخذاً له فحسب ، بل إن ذلك يتوقف على ركيزة السعى و العمل ، فأينما وجدت هذه الركيزة قامت عليها أسس النتائج فى أشكال مختلفة و صور متعددة ، و الاسلام إذا كان قد خصص ذلك بأتباعه فحسب ، و منعه عن غيرهم لم يكن دين العدالة و لا شريعة العدل و المساواة ، ذلك أن المؤمن والكافر كليهما يأكلان من رفد الله تبارك و تعالى ، و قد يكون الكافر أكثر رفاهية و أنجح تجارة و أوسع رزقاً من المسلم ، إذا كان ذا سعى و جهد فى حياته .

إن الاخلاص الكامل للهدف الذى يرضاه المرء و يسعى لتحقيقه بكل ما أوتى من قدرات وكفاءات ، و بكل ما يملكه من وسائل وإمكانات هو الميزان المقرر من عند الله تبارك و تعالى لعباده فى الفوز بالنتائج التى تتفق و الهدف المتوخى ، لقد عاشت أوربا فى ظلام و تخلف و خمول مالم تدرك السر فى خروجها عن حلكة الظلام و مرارة التخلف و الخمول ، و لكنها سرعان ما تيقظت أقبلت على تأسيس الحياة على ركيزة العمل والسعى ، و آلت على نفسها أنها لا تهدأ ما لم تحقق الخروج عن

ظلام الماضى والدخول فى عالم العلم والصناعة و الابداع ، وفعلا تحقق لها ما أرادت ، و شهد العالم ذلك النمو و التقدم اللذين كسبتهما ، و الزعامة العلمية و الحضارية التى امتلكتها ثم فرضتها على العالم البشرى المتخلف ، فى ألوان شتى .

لم تكن نظرة أوربا المضادة للدين والقيم العليا عائقة عن تقدمها المادى والصناعى فى أى مرحلة ، بل إنها جنت من مجهوداتها المخلصة وسعيها المستمر ثماراً يانعة وأكلت من رفد السماء رزقاً شهياً ، و تجاوزت تأثيراتها المادية و منافعها الصناعية والحضارية إلى شعوب العالم التى كانت تعيش عالة على غيرها فى كل شأن حتى فى الحاجات اللازمة .

و ظلت أوربا تتحكم فى الشعوب الشرقية بواسطة تقدمها العلمى و الحضارى ، و لم يكن يدور فى خلد أن سيطرتها الصناعية والعلمية تضعف يوماً ما ، وأن سلطان الغرب المادى يتراجع عن الشعوب والدول الشرقية يوم تتقلص قبضتها على الشرق ، الذى بدأ يعرف قيمته ويقف على أبواب العلم والتكنولوجيا ويدخلها ظافراً منتصراً .

و بالتالى يكتب للغرب أن يعود . . يعود من مستعمراته و من مناطق نفوذه الى أرضه و جزيرته و يتنازل عن الأراضى التى احتلها و ينزوى إلى قارته لكى يخلو المكان لأهله ، ويصفو لهم الجو فى مجالات التقدم من كل نوع ، هنالك انكمش الغرب بجميع ما كان له جولة و صولة و من استعمار و احتلال ، و من علم و حضارة ، و اتسع الشرق و مد باعه إلى كل جهة ، و ركز على العلم و الصناعة و جند لذلك كل مواهبه و طاقاته ، و كرس له كل جهوده و مؤهلاته ، فاذا به يغزو العالم بابداعاته ومنتجاته وبصناعاته ومعطياته ، فى ظرف أقل من نصف قرن .

و قد حمل لواء الشرق اليابان و الصين و روسيا ، هاتيك الدول التى مثلت شرق العالم ، و إن كانت و لا تزال شعوب فى الشرق و دول لأهله لم تحقق من التقدم العلمى والصناعى ما حققته من معجزات علمية وتكنولوجية هذه الدول الكبرى التى تعتبر زعيمة الشرق فى التقدم العلمى و الحضارى و فى الثورة الصناعية ، ولكن الشرق اليوم تفوق على الغرب فى ميادين التكنولوجيا الصناعية أكثر من مرة ، وبلغ الى درجة لاتكفيه فيها سواعد الانسان والعقول الطبيعية ، فالتجاء إلى استخدام العقول





الآلية و إنسان الكمبوتر فى إنتاجاته و صناعاته ، حتى ترك دول الغرب الكبرى فى تخلف و حيرة من الأمر .

كيف تم كل ذلك للغرب أولا ، و للشرق ثانياً ؟ و كلاهما لا يعتمدان على الدين ولا يتقيدان بالعقائد الثابتة والمثل العليا ، ذاك أن العطاء علاقته بالعمل الدائب ، والاخلاص للهدف والاهتمام بالمسئولية والتفانى فى سبيل الغاية التى يتبناها الانسان ، ولذلك فان المسلم إذا انصرف عن هذا المبدأ الأساسى ، وعاش فى لهو عن المستقبل المادى الذى يتعلق بالحياة الدنيا و بالمعاش اللازم و لم يول للعمل و الجهد أى عناية و ظن أن إسلامه يكفيه فى معاشه و معاده من غير أن يستخدم عقله وسواعده فى ترفيه نفسه و توفير حاجاته فهو فى خطأ عظيم ، إن الاسلام يدعو بعد الايمان بالله و رسوله و بالعقائد ، إلى العمل الصالح ، أما غير المسلم فلكى يعيش فى هذه الدنيا ويقضى أيامه فيها لايستطيع أن يستغنى عن العمل ، فالعمل بالمعنى العام يعم المؤمن و الكافر كليهما ، و لذلك نرى أن تعاليم الاسلام لا تشجع البطالة و الاعتماد على القدر من غير عمل ، و فيما روته كتب الحديث عن ذم التسول و الاستجداء و الاكتفاء بالعبادة دون أداء لحقوق الأهل والأولاد و قيام بمسئولية المعاش ، حجة ناصعة على أن الجزاء متوقف على العمل ، فكيفما يكون العمل كذلك يكون جزاؤه ، و بقدر ما يكون السعى و الجهد يعقب العطاء بمثله ، لذلك كانت كلمة « الانسان » محور الحديث عن جزاء العمل و عطاء الجهد ، دون أى تقييد بالدين و العقيدة ، « وأن ليس للانسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الأوفى »

هنا نقف وقفة متأمل و نتساءل عما إذا كان الانسان العام يتمتع نتيجة لعمله و إخلاصه للهدف ، بدرجة عالية من القدرات و الكفاءات ، و يوفر بذلك على المجتمعات الانسانية جزءاً كبيراً من الوقت و الجهد ، و يعيش بذلك مكانة محترمة مرموقة ، فكيف بالانسان المؤمن الذى إذا جمع بين إيمانه و علمه ، وبين سواعده و ثقته بربه ، و بين جهده الدائب و عمله المتواصل ، و طاقاته الكامنة ، و بين إخلاصه للهدف و توجيه كفاءاته نحو الجهات السليمة الطبيعية .

ولكننا نستطيع أن نجرب متى شئنا « الانسان المسلم » اليوم فى حياته الفردية و الجماعية ، و فى حياته المعاشية و السياسية فنجده بكل وضوح راكنا إلى الدعة و إلى الرضا بالظروف ، و نجده مثالا فذاً للكسل و البطء و الاخلاد إلى البطالة والراحة ، مع الاعتماد الكلى على ما يصله من غير عناء فى مجالات الحياة العامة والخاصة .

هل كان الانسان المسلم أقل حظاً من الانسان اليابانى ، و أشقى نصيباً من الانسان الأمريكى ، وهل كان الغرب أغنى من دول المسلمين وأوفر وسيلة وإمكانية من العالم العربى ، و لكن الانسان الذى أدرك سر التقدم و الرخاء منح للعالم بجهده العظيم ، و بعمله المتتابع ، و بسيره الحثيث ، و بتطوره السريع ثماراً من العلم و الحضارة ، و الصناعة و الابداعات ، و من كان يملك وفرة الوسائل والامكانيات والثروات الهائلة من كل نوع بازاء الانسان الذى عاش فى الدول الغنية فى الشرق ! و لكنه لم يرض بوضع طاقاته فيما يعود عليه و على بنى جلدته من نتائج عظيمة ، ومن اكتفاء ذاتى على أقل تقدير، ولم تهنأ نفسه بتنشيط حركة الانتاج والتصنيع التى تشق له الطريق نحو التقدم الصناعى و إحداث ثورة فى عالم التكنولوجيا فيصدر إلى العالم منتوجاته الحيوية فضلا عن أن يستورد و يبقى عائلا على غيره ، و كل من عاش و رضى مثل هذا الوضع المخزى خانه التوفيق و انسد عليه الطريق من كل جهة ، و لم يتمكن من مساعدة نفسه بله أن يثرى حضارته و يفرض وجوده على العالم .

لقد كان المسلمون أولى بالتقدم الصناعى والحضارى ، وتفجير طاقات الكون ، وإيجاد التكنولوجيا الحديثة ، كانوا أولى بذلك من غيرهم ، و أحق بأن يمدهم الله من عطائه ، و يجزيهم الجزاء الأوفى حيال كل عمل و لقاء كل سعى ، و لكنهم - مع الأسف - تناسوا هذا المعنى الكريم وأغفلوا نصيبهم العظيم فى كل انتماء حضارى ودينى و صناعى ، واستغنوا عن عطاء ربهم فانقطع عنهم المدد واتجه العطاء إلى من سواهم .

« و لا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم »

سعيد الأعظمى



# التوجيه الإسلامي

# مصدر الشقاء والاضطراب
# في العالم الإسلامي

سماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

إنه لحديث عامين أو ثلاثة أعوام ، كنت في زيارة بيروت ، و كان هناك صديق لي من أهل العلم و الذكاء، يجول بي في أنحاء بيروت على سيارته لكي أشاهدها ، فقال لي خلال الجولة : أستسمحكم السؤال عن قضية هامة ، و أريدك إجابة مقنعة . . إن ما يموج في الدول الاسلامية من القلق الفكري والاضطراب السياسي والصراع النفسي ، لماذا لا يوجد في غيرها ، لماذا لا يوجد ـ مثلا ـ في الهند ، و اليابان ، و سيلان ؟ لماذا لا يوجد في الدول غير الاسلامية ما نعهده في الدول الاسلامية من جبهتين متعارضتين : جبهة الحكام والقادة و أولي الحل و العقد ، وجبهة الشعب الساذج الذي لا يعرف المكر و الخداع ، مما يسبب الانقلابات المتكررة ، وتحول أزمة الحكومات من أيد إلى أيد ، و قد فقد الشعب ثقته بحكامه و قادته بتاتاً ، كما يعيش الحكام دائماً في جو من سوء الظن و ذعر من الشعب . و الواقع أنني لم أستطع أن أعطي إجابة مشبعة على هذا السؤال الهام ، وشغلت صاحبي بحديث وبآخر في الموضوع ، لكن هذا السؤال قد أثار في نفسي تساؤلا عهد لي به : و رحت أتساءل في نفسي : لماذا هذا الواقع المرير ، و ما هو السبب في هذه الظاهرة المشئومة ؟ ما هو العامل الحقيقي في هذا الاصطراع النفسي والتبلبل الفكري ، نسمع كل يوم عن ظاهرة الصراع و الصدام في الدولة الفلانية ، و نتسامع بأن هناك تصارعاً فيما بين الحضارات ، و فلسفات الأخلاق ؟ .





و بعد تفكير هادىء توصلت إلى الاجابة ، وأريد بهذه المناسبة أن أعرضها عليكم لأنها قد تثير في قلوبكم و في قلوب المسئولين عن هذه الجامعات شعوراً بضخامة المسئولية التي تعود عليكم .

إن الفلسفات التعليمية والتربوية التي استوردتها هذه البلاد غير الاسلامية ما كانت تتصادم مع قيمها ومعتقداتها ، لأن هذه القيم أولا كانت باردة ميتة ، وثانياً أنها كانت مرنة جدا ، رقيقة مائعة جداً ، تستجيب لكل فلسفة ، وتخضع لكل نظرية ، فهاهو « جواهر لال نهرو » رئيس وزراء الهند الأسبق حينما سئل عن « الهندوكي » و تعريفه ، فقال بعدما أطال التفكير : « كل من ادعى أنه هندوكي فهو هندوكي » ، و قد حكى لي صديق لي ـ و كان أستاذا في كلية حكومية ـ قال : كنا جالسين في حجرة الأساتذة تتجاذب أطراف الأحاديث ، اذ تطرق الحديث إلى الديانة الهندوكية فقلت لصديق لي هندوكي ـ و كان بروفيسوراً ـ : لو طلب منا أحد أن نوجز له تعريف الاسلام، لقلنا : إنه الايمان بـ « لا إله إلا الله محمد رسول الله » . . و إذا ما سألكم أحد أن توجزوا له التعريف بالهندوكية فماذا تقولون؟ ـ وقلت له لا أريد منك فلسفة متعمقة متعقدة ، فلدى مكتبة أستطيع أن أطالع فلسفات الديانات و أوسع دراستي لنظرياتها و معتقداتها ، و إنما أريد منك تعريفاً بالهندوكية بكلمة موجزة ـ فقال بعد ما أجهد الفكر ، يا أخي ! الواقع أن الذي لا يعتقد في شئ فهو هندوكي ، و الذي يعتقد في كل شئ هندوكي كذلك .

إلى هذا المبلغ يبلغ نظام عقائدهم من المرونة والميوعة ، تنسجم مع كل فلسفة و تقبل كل نظرية مستوردة ، و لا تتصارع معها في قليل أو كثير ، و من هناك حينما غزا نظام التعليم الغربي الهند ، لم يحدث قلقاً ما في المجتمع الهندوكي ، اللهم إلا

بعض الهنادك المتزمتين الذين قد لا يعدو عددهم رؤوس الأصابع ، كانوا يرون فيه معارضة خفيفة لأمور تافهة من معتقداتهم . . وإنما حدث القلق فى المجتمع الاسلامى لأنه يؤمن بوحدانية الله جل و علا ، لديه مفهوم معلوم محدد للتوحيد ، لا يسمح بأن يخلص الانسان ولاءه فى وقت واحد لديانات شتى ، و يجمع بين الاشراك و التوحيد ثم لا يجمع بين الايمان بأن الغرب مرجع كل شئ ، و مصدر كل تقدم و ازدهار ، وهى وحدها الجديرة بالامامة و السيادة و القيادة و الوصاية ، و بين الايمان بأن النبى الأعظم محمداً ﷺ هو هادى السبل و خاتم الرسل ، وإمام الكل ، لكل الأجيال البشرية فى كل عصر . . نعم لا يمكن له أن يؤمن بكل ذلك ، و يؤمن - فى ذات الوقت - بأن الحضارة الغربية هى منبع كل سعادة و خير ، و أن العلم هو آخر ما وصل إليه الانسان من التقدم ، و أنها نقطة الرقى الأخيرة التى يمكن أن يتعداها أحد .

النور و الظلام لا يجتمعان :

على كل فلم لم يقع اضطراب ما فى المجتمع الذى كان متميعاً سيالا ، رقيقاً ناعماً يتفاعل مع كل نظرية ويتلاحم مع كل غريب مستورد من الأفكار والفلسفات و الآراء و الاتجاهات ، و القيم والحضارات ، ولم يحدث قلق فى الدول التى لا تحمل نظاماً إيجابياً أياً ، شامخاً مستقلا ، و لا تعرف طريق الرحمن من طريق الشيطان ، و لا تلتزم بمبدأ ، و لا تصر على حقيقة ، و لا تفرق بين الضلالة و الهداية « و ماذا بعد الحق إلا الضلال ، فأنى تصرفون » يرى الاسلام أن النور فرد و الظلمات لا حد لها و لا عد ، و يلح على أنه هو الحق وحده ، و ما سواه كفر و طغيان ، و بغى و عدوان ، و إلحاد و جاهلية ، و يحدد الايمان والكفر ،





و يعين الخط الفاصل بينهما ، و يصر على أنه يحمل حضارة خاصة ، و ليس هو مجرد عقائد معدودة و أحكام مرسومة .

فلما غزت الحضارة الغربية ، المجتمع الاسلامى بكل ما عندها من تصورات و قيم و أغراض و أهداف ، وقع بينها و بينه صدام و صراع شديد عنيف ، و كان هذا الصراع طبيعياً . . . ثم حدثت كارثة أخرى ، وهى أن الشباب الأذكياء من بيوتات الأغنياء و الأسرياء و الطبقة الارستقراطية فى هذه البلاد الاسلامية ، قد تثقفوا بالثقافة الغربية ، و بقى الشعب على حاله ، فنشأ من ذلك أن هذه الطبقة المثقفة بالثقافة العصرية عادت لا تعرف ما يعيش فيه الشعب من عواطف وتصورات ، و أمان و آمال ، و مشاعر و أحاسيس ، كما يكون شأن أمة جديدة بأمة أخرى جديدة ليس بينهما سالف تعارف ولا سابق لقاء . . . ومما زاد الطين بلة و الطنبور طنة أن الطبقة العصرية شعرت شعوراً قوياً ملحاً - أوعلمت بعد تجاربها «المريرة» - أنه لا بد - من أجل الابقاء على القيادة و الزعامة و حتى من أجل أن تستطيع أن تعيش عيشة هدوء و سلام - لا بد من القضاء على ما يتحلى به الشعب من العواطف الدينية و الغيرة الاسلامية - أو على الأقل - لا بد من توهينها إلى حد يجعلها لا تقف حجر عثرة فى طريق تحقيق أغراضهم الدينية .

فركزوا عنايتهم على القضاء على الحمية الدينية و الغيرة الاسلامية و الوعى و الايمان ، والذكاء الدينى ، فى الشعب المسلم عن طريق الثقافة والصحافة و وسائل الإعلام ، و الشعر و الأدب ، و هنالك خاضت قيادات هذه البلاد و الأقطار الاسلامية معركة حامية مع الشعب ، لأنها رأت سر حياتها و نموها ، و ازدهارها فى إماتة الوعى الدينى لدى الشعب ، لأنها أدركت أن الشعب قد يكون جبهة متحدة لمحاربتها و يشكل العقبات فى طريق مطامعها . . .

## الوضع فى العالم الاسلامى وضع متناقض ، شعوب تغمرها روح الفداء للاسلام و حكومات تؤمن بتفوق الغرب و عظمتـــه :

أيها السادة ! إنى أحكى لكم قصة هذه البلاد الاسلامية قصة مصر و الشـام ، و قصة العراق و تركيا ، و لا أقول إن هذه القصة قـد حدثت فى كل بلد من البلاد الاسلامية ، و لا قدر الله ذلك ، ولا رماكم الله بهذه المصيبة ، ولا تعرض فصولها على مسرح هذا البلد الكريم أبداً . . . لكنها على كل حال قصـة الدول الاسلامية المتقدمة حيث نشأت طبقة لم تكن زاهدة فى الدين فحسب ، بل تنكرت له ، واستوحشت منه وكانت تنعى على الشعب تمسكه بالشريعة و عضه على جميع أجزائها و أحكامها بالنواجذ ، و كانت ترى أنه إذا كان هناك أفراد فى المجتمع يعـاقرون الخمر ، و يشاهـدون على الشاشة الصغيرة و الكبيرة و التلفاز كل غث و سمين ، و يقع بعض التحول فى أخلاقهم و سلوكهم ، أو يتأثر جانب من سيرة الصغار ، فماذا يضرهم و أى شئ ينقصهم ، و أى خسارة تلحقهم ؟ . . ! ما لهم و لهذه القضايا ، لهم أن يأكلوا و يتمتعوا ، و يعيشوا و ينعموا ، و يكسبوا المعـاش ، و يحوزوا الثروة ويجربوا نصيبهم فى الحياة ، وقد علم هذه الطبقة أساتذتها من الغرب الذين تلمذت عليهم والجامعات الأوروبية التى تخرجت منها ، أن الدين قضية شخصية ، و خير لهذا الدين - إذا أراد البقاء و الحياة - أن يظل على صفته هذه . . . قد تلقنت هذا الدرس من أساتذتها وأساغته إساغة كاملة و اقتنعت به ، فلما عادت إلى بلادها هذه الشرقية وجدت أن أفراد الشعب يتدخلون فى شئون الحكومة ، وينتقدون القيادات ، و يؤاخذونها ، و يحسبون لكل شئ حساباً دقيقا ، و حين يرون شيئـا لا يوافق ما يعتقدونه يستشيطون غضباً ، و يتقدون حنقاً . . .





## ★ مصدر الشقاء و الاضطراب فى العالم الاسلامى

## الطبقة الحاكمة ترصد كل امكانياتها لقهر شعوبها و كبت عواطفها :

لما شاهدت هذه الطبقة كل ذلك ، و رأت أن أحلامها ستتبعثر ، فتحت جبهة مستقلة لتوجيه الهجوم منها على الشعب ، قد كان ذلك فى مصر فى عهد جمال عبد الناصر ، فتوجهت القوى الرسمية بخيلها و رجلها و بكل أجهزتها و وسائلها و طاقاتها ، لتصب الويلات على الشعب المصرى البريئ ، و حلت القوات محل الشرطة و رصدت كل إمكانيات مصر و ثرواتها و خيراتها وقواها ، و ذكاء الطبقة الحاكمة لكبت عواطف الشعب التى كانت القيادة ترى أنها قد تكون كنار فى الهشيم لا تبقى ولا تذر ، فتأتى على اليابس و الأخضر من أمانيهم و أحلامهم . . وعلى ذلك فعاش العهد الناصرى فى مصر فى الجهاد فى غير عدو ، فى محاربة الشعب الهـادىء الوادع و القضاء على الحركات الاسلامية و المؤسسات الدينية ، مكان محاربة الالحاد والشيوعية ، ومحاربة إسرائيل و القوى الصهيونية ، وإلى أى مدى تركت هذه « الحرب السلبية » مفعولها ، و إلى أى حد استطاع « ناصر » أن يحرز النجاح فى مقصده ، لا يمكن الحديث عنه بالتحديد و الضبط ، و لكن هذه الحرب هى التى استنفدت كل وقته و جهده و رصيد فكره .

و هـذه الحرب نفسها قائمة اليوم فى كل من الشام ، و ليبيا ، و تونس ، و الجزائر ، و المغرب ، لا تختلف معركة اليوم عن معركة الأمس فى النوعيـة ، نعم إنها حامية فى مكان و هادئة فى مكان آخر ، و لن أسمى لكم بلداً غير عربى ، فقد كفتنى فى ذلك البلاد العربية ، و ليكن ملحوظاً أن هذه المعركة « المصطنعة » هى من صنائع الفلسفتين المتنافستين المتقابلتين ، والنظامين الممتازين للتعليم و التربية ، فان التعليم الذى يتلقاه طلابنا و أفلاذ أكبادنا فى المدارس الدينية يمحوه - كحرف مكرر أو كلمة خاطئة - ذلك النظام الغربى للتعليم .

ما فات فرعون تداركه قادة التربية الغربيون :

و من هنالك لما اقتحم النظام الغربى التعليمى شبه القارة الهندية ، أثر نفوذ الانجليز وسيطرتهم السياسية على الهند غير المنقسمة، قال السيد أكبر حسين الشاعر الاردى العظيم بيته الخالد السائر الذى لم يقل أحد بيتاً أدق منه فى التنديد بنظام التعليم الغربى الالحادى ، و الدلالة على فعله البعيد المدى ، لا أعرف نثراً أو نظماً يعبر هذا التعبير البليغ ، البارع الدقيق ، الرائع العميق عن نظام التعليم اللادينى ، بهذه الكلمات البسيطة الخفيفة ، يقول أكبر :

« لو فتح فرعون كلية فى مصر ( أراد بها نظام التعليم الغربى ) . . لم يكن هدف الملام و التهم من بنى إسرائيل ، فقد كان مستغنياً بذلك عن قتل أطفالهم جسدياً ، و لكن المسكين لم يتفطن لهذه النكتة » .

إن « أكبر » يشير إلى حقيقة كبيرة ، إنه يقول :

إن فرعون بغباوته و بلاهة ذهنه ، و قلة عقلة ، جر عليه هذه اللعنات ، و خلق له هذه المشكلات ، و مهد الطريق لدعايات غير متناهية ضده ، حتى صار رمزاً للظلم و الوحشية و قساوة القلب وسجلت له الصحف السماوية صفحات سوداء من استكبار و إفساد و استعلاء ، و لو أنه غير نظام التعليم لكفاه عن التقتيل و التشريد و لكسب سمعة طيبة، و لعد المربى الجليل الأكبر ، و ولى العلم والثقافة و لأسست باسمه جامعات و مجامع علمية .

يا سادة ! قد بدأ هذا الصراع - الذى نتحدث عنه - فى المملكة العربية السعودية أيضاً ، بفعل هذا النظام التعليمى الغربى اللادينى . . . و كل دولة تريد أن تخدم الاسلام ، و تعلى كلمته ، يجب عليها أولا أن تتجنب هذا الصراع النفسى الخبيث ، لأنه يستهلك كل القوى العقلية و الفكرية ، و كل نصيب من الذكاء





و القدرة ، ولا يدع هذه القوى و الطاقات ، و المواهب و القدرات ، تقبل على تعمير البلاد ، و تدعيمها و صيانتها من القلق و الاضطراب و اللاأمن ، و تعود كل طبقة تفكر أن تتغلب هى وحدها ، و أن يكون المسيطر على البلاد و المقبول المتداول فى أرجائها ، ما لديها من فلسفة الأخلاق وفلسفة الحياة ، أو فلسفة ما بعد الطبيعة ليس إلا . . .

التعليم العصرى حامض يذيب الشخصية ويكونها من جديد :

وإنى أتوقع من هذه الجامعة المؤقرة (١) أنها ستخطو هذه الخطوة الاصلاحية قبل أى جامعة أخرى ، لأنها تنتمى إلى ذلك المفكر الاسلامى العظيم الذى كان عظيم الكراهية لهذا النظام التعليمى الغربى العصرى ، شديد المقت له ، كثير التنديد به ، و كان كثير الخوف من تطبيقه فى الأقطار الاسلامية ، و أعتقد أنه لو كان بقيد الحياة لركز أولا على تغيير النظام التعليمى الحالى ، لأنه كان يرى أن نظام التعليم الحديث هو « كحامض » يذيب شخصية الانسان ، يقول فى أبياته :

إن التعليم هو « الحامض » الذى يذيب شخصية الكائن الحى ، ثم يكونها كما يشاء ، إن هذا « الحامض » هو أشد قوة و تأثيراً من أى مادة كيميائية ، هو الذى يستطيع أن يحول جبلا شامخاً إلى كومة تراب » .

الشخصية الاسلامية لن تتكون إلا بنظام تعليمى
يتطابق مع طبيعة الشعوب الاسلامية و عقيدتها :

انعقدت ندوة علمية فى عمان فى عام ١٩٧٣م كان يديرها الأستاذ محمد إبراهيم شقره ، و شاركها كاتب هذه السطور و سعادة الأستاذ أحمد محمد جمال ، و معالى الأستاذ كامل الشريف و كان الحوار الذى يجرى فى هذه الندوة تذيعه محطات الاذاعة ، وقد وجه إلى السؤال عن سبب الحيرة المردية التى يعيشها العالم الاسلامى كله بصفة عامة و الشباب المسلم بصفة خاصة .

(١) « جامعة محمد إقبال المفتوحة » فى باكستان ، حيث ألقيت هذه المحاضرة .

فقلت فيما بعـد :

« من أعظم أسباب الحيرة التى يعانيها الشباب المسلم اليوم هو التناقض فى المجتمع الذى يعيش فيه، تناقض بين ما ورثوه وبين ما يعيشونه ، وبين ما يلقنونه تلقيناً و بين ما يطلبه علماء الدين ، هذا التناقض العجيب الذى سلط عليهم و منوا به ، هو السر فى هذه الحيرة المردية . . . هنالك عقائد آمنوا بها كمسلم ولد فى بيت إسلامى ، فى أسرة إسلامية ، و نشأ على كثير من العقائد و تلقاها بوعى أو بغير وعى ، ثم إنه نشأ فى بيئة دينية تؤمن بمبادىء الاسلام ، و قرأ التاريخ الاسلامى - إذا أكرمه الله بذلك، وتسنت له هذه الفرصة الكريمة - وكان سعيداً بوجوده فى بيئة واعية دينية، ثم سيق - و معذرتى على اختيار هذه الكلمة ، لأنه لا يزال فى سن مبكرة و ليس له خيار - إلى دور ثقافة يسمع فيها من أولئك الأساتذة الذين يجلهم - كل ما ينقض ما أبرمته البيئة ، و كل ما غرسته فى قلبه وعقله من التربية الاسلامية ، أو يقلل قيمته على الأقل فيقع فى تناقض عجيب ، و صراع فكرى عنيف و فى ارتباك نفسى ، ( CONFUSION ) .

إنه يتلقى هذا الصراع من مؤسسة الاعلام ، ومن التلفزيون ويسمع إذاعات وأحاديث و برامج تقضى على البقية الباقية من آثار التربية القديمة ، ومن الصحافة التى هى « صاحبة الجلالة » تقدم إليهم فى أول النهار الغذاء الفاسد العفن و المواد المثيرة المهيجة للعواطف . . . إنه يقع فى أيديهم كتب علمية من أناس آمنوا بفضلهم و عبقريتهم فيرون ما يشككهم فى الدين .

إن مثل ذلك أيها السادة ! كمثل عجلة أو مركبة ركب فيها فرس فى الامام و فرس فى الوراء ، و كلاهما قويان ، فكما أن هذه العجلة من المعقول جداً أن يكون ركابها فى حيرة من أمرهم ، هذا يجرها إلى الامام ، و هذا يجرها إلى الوراء ، فكذلك الشباب يتأرجحون فى أرجوحة يميناً و شمالا » .





لا بد من تضييق الفجوة بين رغبات الشعوب الاسلامية ، و أجهزة التربيـة و السياسة :

و حل هذه المشكلة هو إزالة هذا « التناقض » الذى يعبر عنه لسان الشريعة و لسان القرآن بكلمة « النفاق » وإن ذلك يحتاج إلى قلب نظام التربية والاعلام و مؤسسة الصحافة بالمعنى العام ، والتلفزيون - الذى جاء حديثاً - رأساً على عقب و يحتاج إلى ثورة عارمة دقيقة شاملة ، و إلى أناس عندهم الأصالة الفكرية ، وإلى الاجتهاد فى المواد الدراسية، ويحتاج إلى أن تتبنى هذه القضية الحكومات الاسلامية الكبيرة ، و إلى ملء الفجوة بين الكهول و الشباب ، و بين الدعاة إلى الدين و الشباب الجامعيين ، و يحتاج إلى مكتبة جديدة ، و أسلوب جديد فى الحديث مع الشباب .

أيها السادة !

أختم حديثى بهذه الكلمات ، و أوجه شكرى و تقديرى لصاحب السعادة رئيس هذه الجامعة ، و صاحب السعادة رئيس القضاة أفضل جيمه اللذين وفرا لى فرصة الحديث إلى هذه المجموعة الكريمة . . . و إنى على يقين كامل بأنكم مهما تنسون كلمتى هذه ، فانكم لن تنسون رسالة « إقبال » و يحلو لى إن يكون بعض أبيات إقبال هو مسك الختام لحديثى هذا :

« حيا الله شبيبتك يا مربى الجيل الجديد ! ألق عليهم درس التواضع و هضم النفس ، مع الاعتزاز بالنفس ، والاعتداد بالشخصية ، علمهم كيف يشقون الصخور ، ويدكون الجبال ، فان الغرب لم يعلمهم إلا صنع الزجاج ، إن عبودية قرنين متواليين قد كسرت خاطرهم و أوهنت قلوبهم ، فانظر كيف تعيد الثقة إلى نفوسهم وتحارب الفوضى الفكرية » .

# تراثنا الحضارى والثقافى بحاجة إلى نظرة وأمانة

د/ توفيق محمد شاهين
مدير المركز الاسلامى «أتوا» كندا

كان الاسلام بحق عامل تطور كبير فى الحضارة منذ بدئه ، و بخاصة فى الحضارة الانسانية الرشيدة ، و دعا إلى التعلم و التعليم ، وحث على القراءة ، وذكر القلم ، و أوجب الكتابة :

فمن هديه أنه: «إنما يخشى الله من عباده العلماء» (١) ، وكان مبدؤ الوحى : «إقرأ باسم ربك الذى خلق» (٢) ، و أقسم بالقلم : «ن ، و القلم و ما يسطرون» (٣) ، و على الكاتب أن يكتب الدين حفظاً للحقوق و تمكيناً للعدل : «يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه ، و ليكتب بينكم كاتب بالعدل ، و لا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله ،فليكتب و ليملل الذى عليه الحق» (٤) ، و «لا يستوى الذين يعلمون و الذين لا يعلمون» .

و انتشر كل ذلك وذاع بانتشار الاسلام فى الأصقاع التى حل بها ، هادياً و مرشداً ، و مبشراً و نذيراً ، و صار كل شئ فى أول الاسلام عربى الوجه

(١) سورة فاطر ٢٨ .
(٢) أول سورة اقرأ (العلق) .
(٣) أول سورة (ن) والقلم .
(٤) سورة البقرة ٢٨٢ .





و اليد و اللسان ، حتى عرفت العرب علم اليونان و غيرهم من الأقدمين ، فعربتها و زادت عليها ، و نقتها من شوائبها و زادت عليها، حتى انتقلت مترجمة بعد ذلك إلى أوروبا، ملقحة بالفكر العربى و الاسلامى ، فلم نكن مقلدين فقط ، و لا ناقلى بريد . . و إنما لنا تأصيلنا الثقافى :

يقول الأستاذ الدكتور محمد البهى - رحمه الله رحمة واسعة - عن مجد من أمجادنا : ( . . لبغداد منزلتها فى حفظ تراث الحضارة الانسانية العلمية و الفكرية ، كذلك فى تنميتها ، مما كان له أثره الواضح فى تلك الحضارة الغربية الحديثة والمعاصرة ، و كانت أوروبا حتى أوائل القرن الثالث عشر الميلادى ، لا تعرف شيئاً عن ذلك التراث . . . و بفضل بغداد على هذا التراث . . عرف الغرب حضارة العرب ، و حضارة الانسانية القديمة .

و لم يخط هذا العرب فى سبيل التقدم الحضارى و الفكرى ، إلا بعد أن لقح ذهنه بذلك الفكر العربى . . و لم يتم الاصلاح الدينى فى أوروبا إلا بعد الوقوف على تعاليم الاسلام» (١) .

هذا من الناحية التاريخية ، و من ود مزيداً ، فليراجع الكتب التى أشارت إلى تراثنا الحضارى ، و قد أحصى منها الدكتور على عبد الله الدفاع قرابة السبعين كتاباً فى مراجعه (٢) .

أما الاشارة إلى الكم و الكيف ، للاضافات العربية و الاسلامية . . فنكتفينا منها هذه الاشارات :

يقول جابر بن حيان ( المتوفى ٢٠٠هـ ) عن رسائله الصغيرة التى ألفها : «ألفت

(١) الاسلام فى حياة المسلم ٤٤٨ . للدكتور محمد البهى .
(٢) لمحات من تاريخ الحضارة العربية والاسلامية ، للدكتور على عبد الله الدفاع .

ثلاثمائة كتاب فى الفلسفة ، وألفاً و ثلاثمائة كتاب فى الحيل ، وألفاً و ثلاثمائة رسالة فى صنائع مجموعة و آلات الحرب ، ثم ألفت بعد ذلك خمسمائة كتاب نقضاً على الفلاسفة » (١) هذا إلى جانب كتبه فى المنطق ، والزهد ، والمواعظ . إلخ .

بينما خلف الواقدى ، بعد وفاته فى سنة ٢٠٧هـ « ستمائة قمطر كتباً ، كل قمطر منها حمل رجلين ، و كان له غلامان مملوكان يكتبان له بالليل والنهار ، وقبل ذلك بيع له كتب بألفى دينار » (٢) فكيف يدعى الغربيون أن عقليتهم أكثر استيعاباً ، و أشد ذكاء من عقليتنا التى لا تهى ، ولا تقوى على الابتكار والأصالة ، كما يقولون ؟ !

وعلى كل فقد كفانا المنصفون من علماء الغرب مؤونة الرد على هذا الزعم الفاسد ، بما كتبوه عن أمجاد العرب و المسلمين و تأثير هذه الشموس على الغرب و حضارته و تقدمه . و أيضا كان إسحاق الموصلى ، ( ١٥٠-٢٢٥هـ ) كثير الكتب حتى قال أبو العباس ثعلب : « رأيت لاسحاق الموصلى ألف جزء من لغات العرب ، (يقصد لهجاتها ) و كلها بسماعه ، و ما رأيت اللغة فى منزل أحد قط أكثر منها فى منزل إسحاق ، ثم فى منزل ابن الاعرابى » (٣) .

هذه الأمثلة القليلة تمثل لنا روح العصر و طبيعته ، حتى أوائل القرن الثالث الهجرى . و لم يمض قليل حتى خرج العرب من « التكديس » العلمى إلى « التقنين » العلمى .

فمن واجب العرب و المسلمين أن يهتموا بتراثهم العلمى ، حتى ترى الأجيال المعاصرة مدى إسهام أجدادهم فى الحضارة ، و أن ما يتناولوه من فنون المعارف

(١) الفهرست ، لابن النديم ٥٠٠ ، نقلا عن المخطوط العربى . د. عبد الستار الحلوجى ١٠٤ .

(٢) السابق ١٠٥ .  (٣) السابق ١٠٥ .





المتنوعة اليوم فى دنيا الغرب له جذور ثابتة فى الحضارة العربية الاسلامية ، وليس مصدره الحضارة اليونانية ، كما يقول بعض المغرضين و الشانئين للعرب و المسلمين : كما أنها ليست أثراً للعلمانية المؤامرة . . و بلفت النظر إلى تراثنا ندفع الشباب إلى الاهتمام بهذا الجانب ، ويرون أن فى تراثهم ما يفخرون به ، يقول ( رام لاندو ) فى كتابه ( العرب و الاسلام ) :

( لا يوجد سبب منطقى يبرر الفهم بأن العرب فقدوا الصفات التى مكنت أجدادهم من التفوق الحضارى ، فهم لا يزالون يملكون تلك القيمة و يستطيع أى إنسان عاش بين العرب أن يتأثر بانسانيتهم ، و مقدرتهم العلمية ) (١) .

و يرى الدكتور إسحاق الحسينى ، أن العبرة ليست بتكديس الحضارة و إنما فى محاولة فهم روحها و سرها ، بغية بعثها و إبداعها ، يقول :

« لا عبرة فى تاريخ الشعوب بأن تدول الحضارات ، و لكن العبرة بتوفر الطاقات الخلاقة المبدعة سليمة ، حتى تستعيد الشعوب ما فقدت . و نحن نعتقد أن هذه الطاقات ما تزال موجودة ، لأنها منسجمة مع أعماق كيان الأمة العربية ، و داخلة فى صلب عقيدتها الاسلامية : ذلك أن الاسلام أقام حياة المسلمين على أسس ثابتة دفعتهم نحو التفاعل والسيطرة على الحضارات الانسانية التى كانت موجودة حولها ، و الاستفادة من خير ما كان فيها ، مع التحكم بقدرة الاختيار ، و إيثار المصلحة العامة ، على نحو كان فذاً فى تاريخ تطور الشعوب (٢) » ، و واجبنا اليوم أن نمكن لفهم سر الثقافة و الحضارة ، و تؤيدها بالدفع القوى .

و حين قرب أمراء المسلمين ( كالرشيد والمأمون ) العلماء و الحكماء والأدباء

(١) لمحات من تاريخ الحضارة العربية و الاسلامية ٦١ .

(٢) السابق ٦٢ .

إلى مجالسهم ، من أمثال الكندى و الفارابى و ابن سينا و ابن الهيثم و حنين بن إسحاق و غيرهم ، يوم نشط الفكر العربى و الاسلامى ، و أضاف إضافات بناءة لحضارة إنسانية سليمة و سديدة .

و نكرر بأن النظرة المستقبلية للعرب و المسلمين اليوم تستلزم الدفع القوى لبعث الحماس لتراثنا ، على أسس مدروسة و منهجية ، حتى يحقق الدفع القوى استمرارية الحركة و الابداع ، و بذلك تؤسس نهضتنا على أسس واقعية ، مستندة إلى تاريخ لا إلى وهم و خيال . . . إن ظننا أن أوروبا مثلا ستعطينا معجزات الحضارة ، ومعها سرها ، فهيهات أن تسمح بمعرفة سر الحضارة ، إنما تسمح بجانب استهلاكى لنا كشعوب نهمة ، أو جانب علمى لا ينمى إلا بتجارب متتالية متأنية متدافعة .

إن أبناءنا الطلاب فى الغرب و الشرق ، يتعرضون لضغوط هائلة ، مباشرة أحياناً وغير مباشرة أحياناً أخرى من المستشرقين ، ليرسخ فى أذهانهم بأن الحضارة غربية أو شرقية فقط ، و لا حظ فيها للعرب و المسلمين على مدى التاريخ ، و أن العقلية العربية والاسلامية عقيمة ، وأن تاريخ المسلمين مليئ فقط بالمشاغبات والدماء و الحروب ، و يدلونهم على مراجع مشوشة أو مشبوهة أو كتبها أناس موتورون تتلذوا على الغرب و الالحاد ، لبث الشك فى نفوسنا . . و الواقع أنه لا ينكر منصف أن علماء العرب و المسلمين أسهموا بجهد خلاق فى الثقافة الانسانية بعامة ، و تركوا بصمات على الحضارة العالمية بما خلد ذكرهم و آثارهم .

و لم يكونوا عالة على غيرهم ، أو نقلة فكر من قبلهم ، أو حملة بريد . . كما يرميهم بذلك شانئوهم ، و آية ذلك ، ما خلفوه من أثر و فكر ، و إضافاتهم البناءة ، و فضلهم غير المنكور على رقى و بعث نهضة أوروبا . . و ما خبا الضوء ،





و أفل النجم إلا منذ قرابة أربعمائة عام تقريباً ، ليس هذا مجال ذكرها ، وتفصيل الحتوف السود التى تحيفتهم ، فمزقتهم شر ممزق ، فاستكانوا للعاصفة ، و طاوعوا الركود ، و غلبهم النوم العميق . . و عسى أن تكون صحوتهم صحية و واعية ، لاستئناف المسيرة ، والاستئناس بعراقة الماضى فى خدمة الحاضر ، والاعداد للمستقبل الهنئ و الوضئ فى نفس الوقت ، تلبية لمتطلبات الحاضر ، و أشواق المستقبل .

حقيقة جد غيرنا - إبان غفوتنا - فاستفادوا من معارفنا ، و استبطنوا سر الحضارة و واتاهم جدهم بكدهم . . فأصبحوا قبلة للعلم تقصد ، و للخبرة تؤم ، و للدرجات العليا موئلا يؤهل للتصدير فى التوجيه . . . قد يؤمن إن كان عملياً ، و غالباً ما يجلب خطر التوجيه إن كان فى الجانب النظرى ، لما عساه أن يكون قد تأثر به من المستشرقين ذوى الميول السيئة كما أسلفنا .

والذى علمناه أنهم قد يمنحون طلابنا جانباً فى الخبرة و التكنولوجيا . . ولكن هيهات أن يعطوا سرها لأن هذا الجانب يدرك بالمثابرة الجادة ، و التجربة المتأنية و الدائبة ، و التنمية المتوالية ، و إخلاص الأستاذ فى التوجيه ، و الرغبة الأكيدة منه فى إعطاء الخبرة متكاملة فى المجال الواحد . . . و من ثم فحاجتنا - كعرب و مسلمين - أكيدة فى الاسراع بالاستقلال و الافادة الكاملة و المتكاملة ، وبذل الجهود فى هذا الصدد . . علنا نواكب الركب ، و نساير الجهود الرامية إلى رقى الحياة و الأحياء . .

ألح و أقول : كان لعلمائنا القدامى - رحمة الله عليهم - إسهام طيب فى مختلف العلوم و الفنون ، و كان لزاماً على الاحفاد أن يشكروا صنيع الأجداد فى الاشادة بفضلهم ، و ذكر مآثرهم ، و التنويه بآثارهم ، و نفض غبار النسيان عما ورثناه من معارفهم : استشهاداً و ترجمة ، و بحثاً و تنقيباً و تحقيقاً ، و اقتباساً ، وربطاً

للحاضر بالماضى، و بعثاً للعزة و الكرامة فى نفوس شبابنا ، حتى لا نبتر الصلة ، و نسدل سجف النسيان على أمجادنا ، فنصاب بالدونية و الاحباط ، و تنظر لغيرنا فقط بعين الاكبار و الاجلال ، و من هنا لا يمكن للشعور بالوحدة الاسلامية والعربية أن يتم ، ولا أن ينصهر فى بوتقة العزة الموروثة ، و الشرف والكرامة التى يمليها ديننا ويدفع إليها العروبة ، وتحتاجها الانسانية ، فالملاحظ أن الجانب التنقيبى والبحثى فى تراثنا يسير ببطء ، و تراثنا نفسه يقبع فى زوايا كثيرة ، و تناهبه أيد كثيرة فى أرجاء الدنيا . ومن حقه أن يجمع و أن تيسر سبل دراسته و لفت النظر إليه . . لأن العقلية الغربيـــة كثيراً ما تختار ما يروق لها من انحراف فى الفهم ، أو خلط فى التأليف ، أو تحيز فى الكتابة ، أو معلومات مغلوطـــة . . ثم تذيع ذلك و تعنى بنشره بيننا ، فيصاب بعض مثقفينا بالاحباط ، و نصاب نحن بعـامة بعقدة النقص ، و ننسى فى خلال ذلك أمجاد التاريخ ، و دورنا العظيم فى ماضيه .

ونقول ذلك ، حتى لا ننساق تماماً وراء التيار القائل والقائل من المنهزمين : إنه لا تقدم للشرق ، ولا نهوض له من كبوته إلا بالانسلاخ عن ماضية ، الذى أورثه التصنيف فى العالم الثالث بالوقوف على ما ورثه من ثقافة لا تفى فى دنيا اليوم شيئاً ، ولا نهوض له إلا باتباع حضـارة الغرب و تقدمه التقنى ، و يعيش هذه الفرية نفر عديد وهموا هذا الخيال حين فقـدوا خصائصهم وصفاتهم فانبهروا ورددوا هذه الأكذوبة الضخمة ، ويزيدون : لاتقدم للمسلمين إلا بالعلمانية و الانسلاخ عن الاسلام .

ونحن لا ينقصنا اليوم للقيام بواجبنـا إزاء تراثنا سوى التنقية و حسن العرض ، ثم الاستيعاب المتأنى ، ثم تأتى بعد ذلك مرحلة الابداع ، التى تنمو وتنبع كلما أمددناها بعوامل النمو ومسببات النجاح ، ويأتى ذلك بالمثابرة والجد ، ومواكبة





الأحداث و الاطلاع و التمكين من الابداع والعمل ، و متى أخذنا المنهجية العلمية دليلا استطعنا غربلة التراكمات ، وعزل السلبيات ، وتثبيت الايجابيات فى ضوء مواريثنا الاسلامية : من قرآن وسنة ، وتسليط الضوء الكاشف على الفكر الماضى والحاضر ، بروح ذكية : يكون منطلقنا إلى بدء حضارى و ثقافى صحيح ومستقيم وشامل ، وهذا كله يستلزم تقديم الخبرة الواعية ، و الدفع القوى مادياً و معنوياً ، و بيان شرف الغاية و الهدف ، حتى لا نضل الطريق ولا تتشعب بنـا ، مع إخلاص القصد و ابتغاء النهضة الانسانية .

قرأت فى شهر واحد « نماذج » لجهود فردية ، من كتابات المحدثين ، فتوزعت النفس لتشعب المسار ، أعرضها فى إيجاز ، ليغضب معى القارىء الكريم غضب الحليم ، وعسى أن يصلح شيئاً : ـ

قرأت كتاباً فى الصوتيات « لعالم متخصص ، تشبع بروح الغرب ، فجعل رحلة كتابه كلها للغرب ، حتى كأنهم الصانعون لكل شئ ، و كأنما جهود علمائنا الأقدمين بدءاً بالخليل بن أحمد العبقرى ومروراً بابن جنى ، وانتهاء بجهرد المحدثين من المعاصرين و كأنما كانت جهودهم هباء منثوراً !! فلا تنويه ، ولا إشارة ولا إحالة إلى مرجع لهم .

و خفف من هذا الغلو أو الاغفال قراءة أخرى ، للأستاذ أحمد مختار عمر ، فى مؤلف حديث له بعنوان : « دراسة الصوت اللغوى » (١) .. فكانت المتعة مزدوجة بما ذكر فيه من جديد فى هذا الفن ، مع تخصيص حيز كبير لما كان للعرب الأقدمين من أمجاد فى هذا الصدد ، شغلت أكثر من ربع مساحة كتابه الكبير ( حوالى أربعمائة صفحة من الحجم الكبير ) فأضاف بذلك إلى الفن جديداً ، يزيد من نضارة القديم و عظمته ، فسررت .

(١) دراسة الصوت اللغوى . د . أحمد مختار عمر - توزيع مكتبة عالم الكتب بالقاهرة .

و فى محاولة ذكية لربط حضارات منطقتنا تاريخياً ، قرأت محاضرة لرائد من رواد الثقافة فى عصرنا ، جاءت على قصرها مشوقة وممتعة : جادبها قلم العلامة : محمد حسين زيدان : فشكر الله له حسن صنيعه .. وسرنى من جهود المحدثين فى التعريف بتراثنا ، صنيع الأستاذ محمد حسن باكلا ، فى نقل معارف ( ابن جنى ) فى علم الصوتيات إلى اللغة الانجليزية ، و ذلك إعلام فذ بعلمائنا و تراثنا :

و لنقف قليلا مع هذه «النماذج» ، بغية إعطاء القارئ الكريم بعض الضوء عليها :

و قرأت سرقه ظريفة لعالم مشهور فى مؤلفه الحديث ، سطا فيها على كتاب قديم ، بدون إشارة إليه ! !

لقد سرنى أن أقرأ أفكاراً طيبة ، تذكر بالماضى و تحاول أن تربطه بالحاضر ، وتذكر بالمصير ، للأستاذ الفاضل : محمد حسين زيدان ، و قوله مثلا : (للتدليل على أن شبه الجزيرة العربية هى الأرض الأم) : يقول : (... فالعروبة فى مصر من مفاخرنا ( مفاخر عرب الجزيرة) و الأهرام فى مصر من مفاخرنا ، لأن الفراعين وصلوا مصرمن قرية ( بون ) فى اليمن ، كما هو مسجل فى السجل الحجرى الجامد الناطق يقول : «نحن الفراعين و الفينيقيين و الكنعانيين ، قد رحلنا من قرية بون) فى اليمن . . . فالفراعين أعطوا مصر مجد السلطان و التاريخ و الفن ، مجد التاريخ كله . . . الهكسوس — و هم قبيل عربى — أحدثوا لمصر تمسكا و وحدة ؟ إذ كانوا بموقفهم السلبى - حين ذهبوا - بناة الموقف الايجابى (فى الوحدة والاتحاد) .

والفاتح المسلم - على يد عمرو بن العاص - رضى الله عنه - أعطى لمصر عظمتها فى حماية الاسلام ، و حفظ القرآن ، ومجد الأزهر ، و استمرار التاريخ عربياً .. عربيا لا أكثر و لا أقل . . .

كما طبعت الهجرات الهلالية أرضنا العربية فى مصر ، و فى ليبيا ، و فى شمال





أفريقيا بالطابع العربى : عرقا ، و لغة . . . إلى أن يقول :

إن جزيرتكم العربية هى الجديرة بأن نسميها « الأرض الأم » ولعل الأمومة ستعلو عندما تأتى الكشوف تبين لنا وحدة الأثر : كان نحتا فى الجبل فى الحجر و البتراء ، فاستعاض عنه العربى الفرعونى عن الجبل - لا يجده فى مصر - فصنع الأهرامات فى مصر جبالا .

أحسب هذا دليلا على وحدة الأثر والمؤثر .. و أبو الهول عندكم فى مصر شامخاً فى ظل الأهرامات . ولدينا فى وادى القرى تمثال لأبى الهول ، فأيهما كان الأقدم ؟؟ . . . إن وحدة الأثر ستعطينا البرهان على وحدة الأمة . . تعطينا القضاء على كل الشعوبية التى تريد الانسلاخ من العربية بدعوى الفرعونية ، أو الفينيقية أو الأشورية (١) »

أكبرت حديث الأستاذ زيدان ، لأنه يوحى بالثقة ، ويدفع إلى التأمل والبحث ، ويحث على الاعتزاز بالنفس ، و الشعور بالانتماء إلى الأصل الواحد : إلى العروبة و الاسلام . .

و لا ريب فى أننا - بحاضرنا - بحاجة ملحة و أكيدة إلى مثل الضرب على هذه الأوتار الحساسة علها تثير شاكلة انتباه عندنا ، فتلتقى على هدف ، و نستأنف مسيرة الكرامة فى دنيا العلم و العلماء ، و القوة و الأقوياء . .

و على فرض الرفض لما أبداه الأستاذ زيدان ، أو التشكك فى ذلك تاريخياً أو جغرافياً أو عرقياً ، فحسبه أنه نفخ فينا من روح الاسلام ، و نفحة وعائه : العربية ، و أشعرنا بغابر مجدنا ، و مرارة حاضرنا . و واجبنا نحو مستقبلنا ، على حد قول الشاعر :

منى إن تكن حقا تكن أعذب المنى  وإلا فقد عشنا بها زمنا رغدا

(١) محاضرات و ندوات فى التاريخ والثقافة العربية للأستاذ محمد حسين زيدان ٢٦ - ٢٧ بتصرف .

ولعل الكشوف الحديثة تؤيد صدقه ، حتى يزيل جليد الحواجز التى تحجز الأمة الاسلامية ، و التى هى مصطنعة صنعتها السياسة و الأطماع و الخوف ، و حين يتحقق إزالة هذا الجليد يوم أن نكون فرحين بعزتنا و كرامتنا ، فى ظل نداء القرآن الكريم : « واعتصموا بحبل الله جميعاً و لا تفرقوا » .

و قرأت فى مجلة أكاديمية متخصصة (١٤) تعريفاً بكتاب من التراث ترجم إلى الانجليزية للأستاذ محمد حسن باكلا ، عن عبقرى ، من عباقرتنا ، بعنوان : (ابن جنى عالم الصوتيات) : مقدمة للدراسات الصوتية واللسانية لدى العرب الأوائل . صدر الكتاب بالانجليزية فى لندن ( عام ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م) . تحدث فيه المترجم عن ابن جنى : عصره وبيئته وتحدث عن مؤلفاته ومكانته ، و وقف طويلا مع كتابه : (سرصناعة الاعراب) لابن جنى من بين كتبه العديدة والقيمة ، وعرض بعض الجوانب اللغوية له و الفرق بين الصوت و بين الحرف ، و الفرق بين الصوامت و الصوائت ، و معايير تقسيم الأصوات إلى صوامت و صوائت . ثم عرض للترتيب الألفبائى و الصوتى للحروف العربية ، و كيفية تصنيف الحروف حسب مخارجها ، ثم تحليل الأصوات الصوائت ، و تصنيف الأصوات بحسب الملامح المميزة ، وعنى بالحديث عن الأنماط الصوتية فى اللغة الفصحى ، مع جوانب من العمليات الصوتية الصرفية .. ثم وضع تصنيفات ابن جنى فى الميزان ، مع إبراز النتائج و سرد المصطلحات الصوتية عند ابن جنى بالعربية و الانجليزية ، مع فهارس تحليلية وكاشفة » .

جهد فائق فى دراسة إكاديمية قيمة ، تصنع أمجادنا تحت أنظار الغرب المتعالى ، حتى تخفف من غلوائه و تريه أن للعرب و المسلمين عقلية خلاقة تقف على قدم المساواة مع غيرها ، إن لم تفقها أحياناً ، إذا هى فكرت و قدرت - دراسة تغرى

(١٤) مجلة عالم الكتب (السعودية) عدد ١ / مجلد ٣ / ص ٨٦ .





طلابنا بالبحث ، و علماءنا بالتحقيق ، و بخاصة و يظن الغرب أنه ابن بجدة هذا العلم - و كذلك تلاميذهم يظنون - و مثل هذا الصنيع للأستاذ باكلا يردهم إلى الصواب ، ويذكرهم بما انتفع به علماؤهم من تراثنا القديم الحديث .

و قد كان المصنفون من علماء الغرب يحسدوننا على أعمال العبقرى : الخليل ابن أحمد ، و على تأصيله لكتاب الموسيقى ، على غير هواية منه و لا احتراف لهذا الفن . . و كذلك يحسدوننا على تأصيل العلماء العرب لفن التجويد ، على غير مثال سابق ، فحفظ لنا نطق العرب الأقدمين للعربية الفصحى ، والعناية بنطق كتاب الله الخالد ، على غرار ما نزل به الروح الأمين على نبينا محمد ﷺ ، منذ أكثر من ألف و أربعمائة عام .

و لعلنا لا نأبه للفنين مهملين أو متكاسلين ، و لهما فى مكان الدراسة الاكاديمية و العالية فى الغرب مكانة سامية و مرموقة - و فى ظنى أن هذا الاهمال و هذه اللامبالاة ترجع فى الدرجة الأولى إلى الانهزامية التى عشناها زمناً نكداً طال ظلامه و أمده ، إبان الاستعمار و بعده ، وكانت النتيجة أن أصبح التالى المجيد لكتاب الله تعالى أندر من الكبريت الأحمر و الأصفر كما يقولون ، وفاتنا بالتالى فى دنيا تعلم العربية الفصحى و تعليمها و الحفاظ عليها . . جهود ما كانت تضيع لو كانت قائمة على أسس مدروسة و مؤسسة على علمية أملاها علم الأصوات و اللغويات ، لتعبيد الطريق ، كما صنع الغرب المتقدم والمتحفز فى العناية بالحى من لغاته ، فغطت فى عالم اليوم مساحات شاسعة من كوكبنا المأهول بالحياة و الأحياء . . فمتى نحذو الحذو ؟ ! و متى نبذل الجهد ؟ ومتى يقوى الدفع لتحقيق النفع ؟ و متى تستطيع الاستفادة من الكشوف العالمية فى هذا الصدد - إن لم نقو - لسبب أو لغير سبب - اليوم أن نضيف شيئاً ؟ و نجيب على هذا السؤال إجابة راجح مؤمل : قل عسى

أن يكون قريباً .

ونختم بهذا المثال ، كعينة أخرى من المنتفعين بالتراث بلا حدود ولا قيود : من المألوف والمعروف ، أن الاقتباس أمانة ، وذكر المرجع عهد وذمة - وبخاصة مع الذين أصبحوا فى ذمة الله تعالى ، فليس فى مقدورهم التتبع ، فى الحماكم و لا اللوم و العتاب . . و متى تم الاقتباس و الاستشهاد على الأسس المعروفة ازدادت ثقة القارىء بالكاتب ، وربا الاحترام المتبادل .

و لكن للأسف قد تفتح الأقواس أحياناً للاقتباس و الاستشهاد فلا تقفل الأقواس بعد ذلك ؟ ! مما يوقع القارىء فى حيرة ، و لا يدرى أين المؤلف ، و أين المقتبس منه ، و لعل هذا محتمل على مضض - و نلتمس لفاعله توارد خواطر ، أو (جل من لا يسهو) ، و إن كان لا يليق بمؤلفين فضلاء ، والمؤلم حقاً هو ما يتعرض له تراثنا من الاغفال المعيب ، أو السلب الجريئ ، و فى هذا ما فيه من عدم احترام متبادل ، لأن ما يخالفه المؤلف يخفى على الناس سيعلم يوماً ما ، لدى بعض القراء قصداً أو عفواً ، ويبدو أن تراث العصور الوسطى هو الذى يتعرض لهذا اللون من السطو الجريئ أو المشين .

قرأت بالخط العريض اسماً على غلاف كتاب ، العبادات فى الاسلام ، وحين فرغت من قراءة المقدمة صدمت : لأن الكتاب لمؤلف مشهور فى العصور المظلمة كما نسميها ، فما كان من المحقق والناشر إلا أن جعل اسم المؤلف متواضعاً ضائعاً بين سطور المقدمة - و احتل اسمه هو غلاف الكتاب ، وما بعد الغلاف ! ! و بقى أن نعرف أن التراث أمانة و ذمة ! !

و رحت أروح عن نفسى بقراءة كتاب خفيف فى الأخلاق الاسلامية ، لأستاذ شهير ، يتصدر التوجيه فى الدراسات العليا ، فوجدته ممتعاً : يعرض الفضائل





عرضاً مشوقاً ، بأسلوب سهل ويبوب الموضوعات مترابطة ، و يسوق الأدلة تخدم الفكرة و تستقر الأدلة فى أماكنها معبرة موحية - و يعرض الرذائل التى يجب أن يفر منها الانسان ، مع أدلتها و شواهدها ، فما تملك النفس إلا أن تزجر لكلاحة وجه الرذيلة - ثم وقفت عند موضوع (الغيبة) و أثرها الوبيل فى حياة الفرد و الجماعة : و سألت الله أن يعيذنا منها - و طويت الكتاب بعد تصفح موضوعات كثيرة منه .

و عرضاً استهوانى كتاب وعظ ، نظم الفضائل نظماً ، و الرذائل شعراً ، ثم جاء من شرحها نثراً ، بعنوان ( كتاب غذاء الألباب لشرح منظومة الآداب ) تأليف الشيخ الامام و الحبر البحر الهمام شيخنا و أستاذنا الشيخ محمد السفارينى الحنبلى . المولود سنة ١١١٤ هـ بقرية سفارين من قرى نابلس : و وقفت عند شرح هذا البيت :

ويحرم بهت و اغتياب ، نميمة  و إفشاء سر ثم لعن ومقيد

فوجدت شرح الغيبة و الحديث عنها هو فى كتاب أستاذنا بقضه وقضيضه ، وشرحه ودليله ، وكذلك مواضيع أخرى كثيرة .

فقلت : ما هكذا يجب أن يعامل القراء ، و ما هكذا يعامل التراث ! ! ألم أقل : تراثنا بحاجة إلى رعاية ونظرة ، و أمانة ودقة ، لأن ذلك داء لو استشرى فخطره أكثر من سلبه ، و إثمه أكبر من نفعه ، والله الهادى إلى سواء الصراط .

# نماذج التوحيد من البيان القرآنى

الأستاذ عبد الله محمد الحسنى الندوى

مما لا شك فيه أن التوحيد نعمة إلهية و منحة ربانية ، لا تساويها نعمة و لا تقابلها منحة ، رحمة و عطفاً على الانسانية ، أمناً و سلامة على المجتمعات العالمية ، مساواة و مواساة على الأفراد البشرية ، فكلما تخلت أمة عن هذه النعمة انحطت عن منزلتها الرفيعة ، و سقطت عن مفخرتها العظيمة ، و لأجله بعث الرسل ، و لأجله نزلت الكتب حتى بعث خاتم الرسل ، منير السبل ، و مولى الكل محمد رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم ، فأوضح المحجة البيضاء للتوحيد و مفاهيمه ، و الشرك وحبائله ، كى لا يتطرق إلى هذه الأمة الأخيرة التى أحيلت إليها مسئوليات العالم كله إلى يوم القيامة ـ الاشراك بالله بجميع معانيه ، فسد جميع المنافذ الشركية ، وحسم مواد الشرك بأقواله و أفعاله و هى موجودة فى كتب الأحاديث النبوية ، ثم قام الأئمة الأعلام بتفصيل جميع الألفاظ والمعانى التى وردت فى التوحيد و الشرك و بينوا مراتب التوحيد ، و مزالق الشرك ، نحن نستطيع أن نتعرف عليها فى كتب الامام ابن تيمية الحرانى ، و الامام ولى الله الدهلوى و من نحا نحوهما ، و لسنا بصدد ما كتبوا حولها بل نريد أن نشير بعض الاشارات التى وقعت فى القرآن الكريم حول أهمية التوحيد و منزلته .

## التوحيد حاجة بشرية لازمة :

إن الركيزة الكبرى ، و حجر الزاوية العظيم إنما هو الاعتقاد بذات الله





سبحانه و تعالى و ربوبيته التى أودعها الله عز وجل فى كل فرد من أفراد البشر عامة ، و فطرهم عليها ، و لا يقوم بنيان الديانات و المذاهب إلا عليها ، لأن العقول الانسانية و الاستدلالات البشرية المنطقية ، و ذكاء الناس و حيتهم ، و شعورهم الدقيق الحساس ، و قلبهم الرقيق الفياض أو تجاربهم الواسعة الحكيمة لم تكن لتقوم بتقديم حلول ناجعة فى هذا المجال و قد ضلت فى أكثر الاحيان ـ فى مناهات الضلالة و خبطت خبط عشواء حين إعمال الفكر والروية فى هذا المضمار ، و هى حقيقة ثابتة لا ينكرها إلا من فسد ذوقه واعتل مزاجه لأجل أمراض و علل أصابته ، وهى من البديهيات التى قبلها الناس قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل و توارثوها ، و لم يطلب أحد دليلا على صحة هذا المعتقد و ثبوت هذه الحقيقة ، و أجمعت الانسانية منذ نشأتها على صفحة هذا الكون على أنها حقيقة ثابتة لامرية فيها ، و لم تزل الأغلبية الساحقة من الانسانية تعتقدها إلى يومنا هذا إلا أنها قد تسربت فيها الخرافات وأفعال شركية ، ما أنزل بها الله من سلطان ، بطرف شيطانية و مطامع دنيوية ، و رغبات و شهوات نفسية ، و مطالب حيوية مادية .

## الفطرة تدعو إلى التوحيد :

و قد أشار الله فى القرآن الكريم إشارة واضحة إليها حيث قال « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم و أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ، أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل و كنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون (١) » .

و قد أنشأ الله فى الانسان استعداد المعرفة يوم أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ من ثم لا يسع لمنكر أن ينكر ، ولا لجاحد أن يجحد ، ولا يتجرأ مشرك أن يحتج خلافه يوم يقوم الناس لرب العالمين ، و قد ثبت أن الانسان ينسى عهوده

(١) سورة الأعراف الاية ١٧٣

الدنيوية وعهده بها قريب ، فكيف لا ينسى ذلك العهد الذى اختفى فى حجب كثيرة زمانية و مكانية و لكنه يبقى فى النفس الانسانية مجملا كما أن كل العالم الذى تعلم العلوم المبدئية و تلقى الحروف الهجائية حتى بدأ يرتجل الكلام لايستطيع أن يستوعب أسماء جميع الأشخاص الذين تعلم منهم لكنه يكون على يقين كامل أنه لم يتلق هذه العلوم طبيعياً من غير وسائط ، وكما هو معلوم لدى كل أديب مترسل أنه لم ينشأ فيه الذوق الأدبى و لم يملك ناصية الانشاء و الكتابة عفواً و مرتجلا من غير خلفيات و سوابق ، بل وجدت فيه هذه الملكة الانشائية بتلقى الأدب من أساتذة بارعين فى الأدب و الانشاء أو بمطالعة كتبهم التى ألفوها ، إن كان هو لايستطيع أن يستوعب أسماءهم و احداً تلو الآخر ، ولا يقدر أن يبين بترتيب وإسهاب جميع النواحى التى تأثر بها ، ويحيط بجميع الخلفيات و الأسباب التى وقعت فيه أيماً وقع .

كذلك نستطيع أن نقول إن الله قد أودع فى كل إنسان هذا الاستعداد و الصلاحية لمعرفة الله و معرفة توحيده ، يقول الشيخ عبد الوهاب الشعرانى فى كتابه « الجواهر و اليواقيت » .

« إنما كنا لا نذكر لأن تلك البنية قد انقضت وتداولت الانسان تغير بمرور الدهور عليها فى اصلاب الآباء وأرحام الأمهات ، ثم زاد الله تعالى فى تلك البنية أجزاء كثيرة ، ثم استحالت بتصريفها فى الأطوار الواردة عليها من العلقة والمضغة واللحم والعظم ، وهذه كلها مما يوجب الوقوع فى النسيان ، وكان على بن أبى طالب رضى الله عنه - يقول : إنى لأذكر العهد الذى عهد إلى ربى و أعرف من كان هناك عن يمينى ومن كان عن شمالى ، وكذلك بلغنا نحو هذا القول عن سهل بن عبد الله التسترى أنه كان يقول : أعرف تلامذتى من يوم ألست بربكم » (١) .

(١) الجواهر و اليواقيت ج١ ص١٠٣ ، وقد كتب بحثاً لطيفاً فى هذا الموضوع الشيخ بدر عالم الميرتهى فى كتابه « ترجمان السنة » ج ١ باب التوحيد .





من ثم نرى أن الانسان كلما يتجرد عن هذه المؤثرات الخارجية ويخرج عن الاطار الضيق الذى يعيشه و يبتعد عن الأسباب التى يعتمد عليها فى صيانة الكيان و حفظ الامان الفردى ، تنبعث منه تلك النزعة الفطرية التى أودعها الله فى نفسه منذ اراد خلقه ، فيبدو حينئذ موحداً خالصاً و ينسى ما حوله من المعبودات التى اخترعها لنفسه و نحتها بيده ، إن كان هو ممن يشركون بالله عز و جل و يجعلون له أنداداً ، كما تشير إليه الآية القرآنية الكريمة « فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ، فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون » ( العنكبوت الآية ٦٥ ) .

و إن كان هو ممن ينكرون الله عزوجل و لا يؤمنون به البتة ، فهو كذلك يشعر فى قلبه إيماناً كان كامناً فبدأ يلمع ، و كان شيئاً مخفياً فبدأ يبرز ، فكأنه أتى إلى عروة - و كان فى حاجة ماسة إليها - فأخذها و استمسك بها و قد قرأت فى كتاب مقالة نشرت أيام الحرب ، لشاب من جنود المظلات ( يوم كانت المظلات و الهبوط بها شيئاً جديداً ) يروى قصته فيقول : إنه نشأ فى بيت ليس فيه من يذكر الله أو يصلى ، ودرس فى مدارس ليس فيها دروس للدين ولا مدرس متدين ، نشأ نشأة علمانية مادية ، أى مثل نشأة الحيوانات التى لا تعرف إلا الأكل و الشرب ، و لكنه لما هبط أول مرة و رأى نفسه ساقطاً فى الفضاء قبل أن تنفتح المظلة ، جعل يقول : يا رب يا الله و يدعو من قلبه ، و هو يتعجب من أين جاء هذا الايمان » (١) .

و لكن هذه الفطرة قد تغطيها الشهوات و الرغبات و المطامع و المطالب الحيوية المادية ، فاذا هزتها المخاوف والأخطار والشدائد ألقت عنها غطاءها فظهرت ، و لذلك سمى غير المؤمن ( كافراً ) و معنى الكافر فى لسان العرب « الساتر » .

(١) تعريف عام بدين الاسلام ص ٥٣ .

الدعوة إلى التوحيد غاية عظمى لبعثة الرسل :

إنه لم يبعث الرسل إلا لاخراج الناس من ظلمات الشرك و الضلالة إلى نور الايمان و التوحيد ، لأنه ضرورة حتمية و طبيعية ، يقول الشيخ أبو الحسن على الندوى فى كتابه (النبوة و الأنبياء) « وكل من له صلة بالقرآن - وهو الكتاب المهيمن على الكتب السابقة - يعرف اضطراراً و بداهة أن القضاء على هذه الوثنية و الانكار عليها و محاربتها و إنقاذ الناس من براثنها كان هدف النبوة الأساسى و مقصد بعثة الأنبياء و أساس دعوتهم و منتهى أعمالهم و غاية جهادهم ، و قطب الرحى فى حياتهم و دعوتهم ، حولها يدندنون و فيها يصدرون ، و إليها يرجعون ، و فيها يبدأون و إليها ينتهون ، و القرآن تارة يقول بالاجمال « و ما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون » (١) .

و تارة يقول بالتفصيل فيسمى بنياً نبياً ، و يذكر إن افتتاح دعوته كان بهذه الدعوة إلى التوحيد ، فقال « و لقد أرسلنا نوحا إلى قومه إنى لكم نذير مبين ألا تعبدوا إلا الله إنى اخاف عليكم عذاب يوم أليم (٢) .

« و إلى عاد أخاهم هوداً قال : يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن أنتم إلامفترون (٣) « وإلى ثمود أخاهم صالحاً ، قال : يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض و استعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربى قريب مجيب » (٤) « و إلى مدين أخاهم شعيبا ، قال : يا قوم اعبدوا الله ما لكم

(١) سورة الأنبياء الآية ٢٥ .
(٢) سورة هود الآية ٢٥-٢٦ .
(٣) سورة هود الآية ٥٠ .
(٤) سورة هود الآية ٦١ .





من إله غيره و لا تنقصوا المكيال و الميزان ، إنى أراكم بخير و إنى أخاف عليكم عذاب يوم محيط (١) ،

أما إبراهيم فدعوته إلى توحيد الألوهية و نبذ الأصنام و الأوثان أوضح و أصرح ، ففى سورة الأنبياء « ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل و كنا به عالمين إذ قال لأبيه وقومه : ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون ، قالوا : وجدنا آباءنا لها عابدين ، قال : لقد كنتم أنتم و آباؤكم فى ضلال مبين » (٢) و فى سورة الشعراء « و اتل عليهم نبأ إبراهيم ، إذ قال لأبيه و قومه : ما تعبدون ، قالوا : نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين ، قال هل يسمعونكم إذ تدعون ، أو ينفعونكم أو يضرون ، قالوا : بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون ، قال : أفرأيتم ما كنتم تعبدون ، أنتم و آباؤكم الأقدمون ، فانهم عدولى إلا رب العالمين . الذى خلقنى فهو يهدين ، والذى هو يطعمنى و يسقين و إذا مرضت فهو يشفين ، و الذى يميتنى ثم يحيين ، والذى أطمع أن يغفرلى خطيئتى يوم الدين (٣) ، وفى سورة مريم « واذكر فى الكتاب إبراهيم ، إنه كان صديقاً نبياً ، إذ قال لأبيه : يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر و لا يغنى عنك شيئاً (٤) ، و فى سورة العنكبوت « و إبراهيم إذ قال لقومه : اعبدو الله واتقوه ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون إنما تعبدون من دون الله أوثانا و تخلقون إفكا ، و إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً ، فابتغوا عند الله الرزق و اعبدوه واشكروا له إليه ترجعون (٥) و فيها قال : إنما اتخذتم

(١) سورة هود الآية ٨٤ .
(٢) سورة الأنبياء ص ٥١-٥٤ .
(٣) الشعراء الآية ٦٩-٨٢ .
(٤) مريم الآية ٤١-٤٢ .
(٥) العنكبوت الآية ١٦-١٧ .

من دون الله أوثانا مودة بينكم فى الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض و يلعن بعضكم بعضاً و مأواكم النار ، و ما لكم من ناصرين (١) .

و كذلك يوسف ، فقد جاء فى القرآن الكريم فى موعظته البليغة الحكيمة ، فى السجن ، قال : لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذالكما مما علمنى ربى ، إنى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون ، واتبعت ملة آبائى إبراهيم ، وإسحاق ، و يعقوب ، ما كان لنا أن نشرك بالله من شئ ، ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ، يا صاحبى السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ، ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم و آباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ، إن الحكم إلا لله أمر أن لا تعبدوا إلا إياه ، ذلك الدين القيم و لكن أكثر الناس لا يعلمون (٢) .

و قد كانت هـذه دعوة موسى لفرعون الذى كان يدعى أنه مظهر للشمس ( الاله الأكبر ) عند قدماء المصريين ، فيقول : ( إنا ربكم الأعلى ) وقد قال : حين سمع دعوة موسى « يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيرى » (٣) و قال « لئن اتخذت إلها غيرى لأجعلنك من المسجونين » (٤) .

قد سمى القرآن عبادة الأوثان الشرك الأكبر ، و الرجس ، و قول الزور ، وشنع عليها التشنيع الأعظم فقال فى سورة الحج « ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربى ، و أحلت لكم الأنعام إلا يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس و اجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به ، و من يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق » (٥) (٦) .

(١) سورة العنكبوت الآية ٢٥ .
(٢) سورة يوسف الآية ٣٧ .
(٣) سورة القصص الآية ٣٨ .
(٤) سورة الشعراء ٢٩ .
(٥) الحج آية ٣٠ - ٣١ .
(٦) النبوة والأنبياء ص ٥٤-٥٥-٥٦ .





وهذه تصريحات واضحة تدل دلالة مبينة على أنه خلق الخلق للابتلاء والامتحان و أرسل رسله ليوضحوا لهم سبيل الرشد والهداية حتى يكونوا على بينة من أمرهم ، فدعوا إلى التوحيد دعوة صريحة ، وأكدوا عليه تأكيداً مزيداً ، « وهو لم يكتف بالدعوة إليه فى وقت دون وقت وزمان دون زمان ، و لم يقيده بأسباب انحرافية ، و ظروف شركية طرأت على أقوام و أمم فى أزمنة مختلفة حتى صارت منحرفة عن الدين و القيم و الخط المستقيم ، بل امتدت هذه الدعوة ساحة الزمان والمكان ، و شملت الظروف و الأوضاع ، كما نرى واضحة جلية أن القرآن يسهب فى سوره المكية حينما يخاطب المشركين فى الألوهية ، و ليس سببه انحراف الجاهلية العربية و الجاهليات كلها فى تصورهـا لله ، فان السور المدنيـة التى نزلت للمؤمنين ظلت تتحدث عن الألوهية باستفاضة و إسهاب و تلمس أوتار القلب البشرى بهذه القضية من كل جانب و فى كل مناسبة بحيث لا يعود لدينا شك فى أن القرآن يولى القضية الألوهية تلك الأهمية العظمى لا لذلك السبب العارض وهو انحراف الجاهلية العربية ولكن لسبب يتعلق بالانسان ذاته فى كل حالاته(١) .

و قال ابن تيمية : «التوحيد الذى جاءت به الرسل إنما جاء يتضمن إثبات الالهية لله وحده ، بأن يشهد أن لا إله إلا الله ، ولا يعبد إلا إياه ، و لا يتوكل إلا عليه ، ولا يوالى إلا له ، ولا يعادى إلا فيه و لا يعمل إلا لأجله ، و ذلك يتضمن إثبات ما أثبته لنفسه من الأسماء و الصفات قال تعالى « و اسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون » و أخبر عن كل نبى من الأنبياء أنهم دعوا الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، و قال تعالى : « قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه ، إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله » وقال عن المشركين « إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ويقولون أ إنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون » وهذا فى القرآن كثير (٢) .

(١) دراسات قرآنية ص ٣٢-٣٣ (٢) فتاوى ابن تيمية ص١٤-١٥-٣٧٩-٣٨٠ج١٤ .

# وجوب التوبة إلى الله والضراعة إليه عند نزول المصائب

بقلم : سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز
الرئيس العام لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد
( الرياض )

إن الله عز و جل بحكمته البالغة وحجته القاطعة و علمه المحيط بكل شئ يبتلى عباده بالسراء و الضراء و الشدة والرخاء و بالنعم و النقم ليمتحن صبرهم و شكرهم فمن صبر عند البلاء وشكر عند الرخاء و ضرع إلى الله سبحانه عند حصول المصائب يشكو إليه ذنوبه وتقصيره ويسأله رحمته وعفوه أفلح كل الفلاح وفاز بالعاقبة الحميدة قال الله جل وعلى فى كتابه العظيم : « ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا ولا هم يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » و المقصود بالفتنة فى هذه الآية الاختيار و الامتحان حتى يتبين الصادق من الكاذب و الصابر و الشاكر ، كما قال تعالى ( و جعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون و كان ربك بصيراً ) و قال عز و جل ( و نبلوكم بالخير و الشر فتنة و إلينا ترجعون ) و قال سبحانه ( وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون ) والحسنات هى النعم من الخصب والرخاء والصحة و العزة و النصر على الأعداء ونحو ذلك ، و السيئات هنا هى المصائب ، كالأمراض و تسليط الاعداء و الزلازل و الرياح العاصفة و السيول الجارفة المدمرة و نحو ذلك ، وقال عز و جل ( ظهر الفساد فى البر و البحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون ) .

و المعنى أنه سبحانه قدر ما قدر من الحسنات و السيئات وما ظهر من الفساد ليرجع الناس إلى الحق و يبادروا بالتوبة مما حرم الله عليهم و يسارعوا إلى طاعة





الله و رسوله لأن الكفر والمعاصى هما سبب كل بلاء وشر فى الدنيا و الآخرة ، و أما توحيد الله و الايمان به و برسله و طاعته و طاعة رسله و التمسك بشريعته و الدعوة إليها والانكار على من خالفها فذلك هو سبب كل خير فى الدنيا والآخرة و فى الثبات على ذلك و التواصى به و التعاون عليه عز الدنيا و الآخرة و النجاة من كل مكروه و العافية من كل فتنة كما قال سبحانه ( يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ) وقال سبحانه ( ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز . الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة و آتوا الزكاة وأمروا بالمعروف و نهوا عن المنكر و لله عاقبة الأمور ) و قال تعالى ( وعد الله الذين آمنوا منكم و عملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم و ليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم و ليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً و من كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ) و قال سبحانه ( ولو أن أهل القرى آمنوا و اتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء و الأرض و لكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون ) .

و قد بين سبحانه فى آيات كثيرات إن الذى أصاب الأمم السابقة من العذاب و النكال بالطوفان و الريح العقيم و الصيحة و الغرق و الخسف وغير ذلك كله بأسباب كفرهم وذنوبهم كما قال عز وجل ( فكلا أخذناه بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً و منهم من أخذته الصيحة و منهم من خسفنا به الأرض و منهم من أغرقنا و ما كان الله ليظلمهم و لكن كانوا أنفسهم يظلمون ) و قال سبحانه وتعالى ( و ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم و يعفو عن كثير ) و أمر عباده بالتوبة إليه و الضراعة إليه عند وقوع المصائب فقال سبحانه ( يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من

تحتها الأنهار ) و قال سبحانه وتعالى ( و توبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ) وقال سبحانه و تعالى ( ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا و لكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون ) وفى هذه الآية الكريمة حث من الله سبحانه لعباده و ترغيب لهم إذا حلت بهم المصائب من الأمراض و الجراح و القتال و الزلازل و الريح العاصفة وغير ذلك من المصائب، أن يتضرعوا إليه ويفتقروا إليه فيسألوه العون و هـذا هو معنى قوله سبحانه و تعالى ( فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ) و المعنى هلا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ، ثم بين سبحانه أن قسوة قلوبهم و تزيين الشيطان لهم أعمالهم السيئة كل ذلك صدهم عن التوبة و الضراعة و الاستغفار فقال عز و جل ( و لكن قست قلوبهم و زين لهم الشيطان ما كانوا يعملون ) .

و قد ثبت عن الخليفة الراشد رحمه الله أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أنه لما وقع الزلزال فى زمانه كتب إلى عماله فى البلدان و أمرهم أن يأمروا المسلمين بالتوبة إلى الله والضراعة إليه والاستغفار من ذنوبهم ، وقد علمتم أيها المسلمون ما وقع فى عصرنا هذا من أنواع الفتن و المصائب و من ذلك تسليط الكفار على المسلمين فى أفغانستان و الفلبين و الهند و فلسطين و لبنان و أثيوبيا و غيرها و من ذلك ما وقع من الزلازل فى اليمن وبلدان كثيرة، ومن ذلك ما وقع من فيضانات مدمرة و الريح العاصفة المدمرة لكثير من الأموال و الأشجار و المراكب البحرية و غير ذلك و أنواع الثلوج التى حصل بها ما لا يحصى من الضرر ، و من ذلك المجاعة و الجدب و القحط فى كثير من البلدان ، و كل هذاو أشباهه من أنواع العقوبات والمصائب التى ابتلى الله بها العباد بأسباب الكفر والمعاصى والانحراف عن طاعته





سبحانه و الاقبال على الدنيا و شهواتها العاجلة و الاعراض عن الآخرة و عدم الاعداد لها إلا من رحم الله من عباده .

لا شك أن هذه المصائب و غيرها توجب على العباد البدار بالتوبة إلى الله سبحانه من جميع ما حرم عليهم و البدار إلى طاعته و تحكيم شريعته و التعاون على البر والتقوى و التواصى بالحق و الصبر عليه ، ومتى تاب العباد إلى ربهم وتضرعوا إليه و سارعوا إلى ما يرضيه و تعاونوا على البر و التقوى و تآمروا بالمعروف و تناهوا عن المنكر أصلح الله أحوالهم و كفاهم شر أعدائهم و مكن لهم فى الأرض و نصرهم على عدوهم و أسبغ عليهم نعمه و صرف عنهم نقمه كما قال سبحانه و هو أصدق القائلين ( و كان حقاً علينا نصر المؤمنين ) وقال عز و جل ( ادعوا ربكم تضرعاً و خفية إنه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها و ادعوه خوفاً وطمعاً إن رحمة الله قريب من المحسنين ) وقال عز و جل ( وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه ، يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى ويؤت كل ذى فضل فضله و إن تولوا فانى أخاف عليكم عذاب يوم كبير ) و قال سبحانه و تعالى ( وعد الله الذين آمنوا منكم و عملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم و ليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم و ليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ) الآية. و قال عز و جل ( و المؤمنون و المؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة و يطيعون الله و رسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم ) .

أوضح عز و جل فى هذه الآيات أن رحمته و إحسانه و أمنه وسائر أنواع نعمه إنما تحصل على الكمال الموصول بنعيم الآخرة لمن اتقاه وآمن به وأطاع رسله

و استقام على شرعه و تاب إليه من ذنوبه . أما من أعرض عن طاعته و تكبر عن أداء حقه و أصر على كفره و عصيانه فقد توعده سبحانه بأنواع العقوبات فى الدنيا و الآخرة و عجل له من ذلك ما اقتضته حكمته ليكون عبرة و عظة لغيره كما قال سبحانه ( فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شئ حتى إذا فرحوا بما أتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا و الحمد لله رب العالمين ) .

فيا معشر المسلمين حاسبوا أنفسكم و توبوا إلى ربكم و استغفروه و بادروا إلى طاعته واحذروا معصيته و تعاونوا على البر و التقوى و أحسنوا إن الله يحب المحسنين واقسطوا إن الله يحب المقسطين ، و أعدوا العدة الصالحة قبل نزول الموت وارحموا ضعفاءكم و واسوا فقراءكم و أكثروا من ذكر الله و استغفاره و تآمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر لعلكم ترحمون ، و اعتبروا بما أصاب غيركم من المصائب بأسباب الذنوب و المعاصى والله يتوب على التائبين ويرحم المحسنين و يحسن العاقبة للمتقين كما قال سبحانه و تعالى : ( فاصبر إن العاقبة للمتقين ) و قال تعالى : ( إن الله مع الذين اتقوا و الذين هم محسنون ) و الله المسئول بأسمائه الحسنى و صفاته العلى أن يرحم عباده المسلمين وأن يفقههم فى الدين و ينصرهم على أعدائه وأعدائهم من الكفار والمنافقين ، وأن ينزل بأسه بهم الذى لا يرد عن القوم المجرمين ، إنه ولى ذلك و القادر عليه ، و صلى الله على نبينا محمد و على آله وأصحابه و التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .



من بحوث

# الندوة العالمية للأدب الاسلامي

- الأدب الاسلامى فى تراثنا التاريخى و الجغرافى
- الأدب الاسلامى وصلته بالحياة

من بحوث الندوة العالمية الأولى للأدب الاسلامى :

# الأدب الاسلامى
## فى تراثنا التاريخى و الجغرافى

الأستاذ الدكتور فتحى عثمان مدير البحوث (سابقاً)
بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية
رئيس تحرير مجلة « العربية » (Arabia)

(٤)

### الخصائص الاسلامية فى أدب التاريخ و التراجم :

نشأ أدب التاريخ و التراجم أصلا فى حجر الاسلام و لتلبية مقاصد دينية من تدوين سيرة رسول الله ﷺ ثم أخبار الفتوح الاسلامية إلى الترجمة لرواة الحديث لمعرفة من يؤخذ عنه و من يترك ، فتمثلت فيه خصائص إسلامية أصيلة . و فى مقدمتها رواية الخبر بسنده و هى طريقة فذة للتدقيق التاريخى إلى جانب النظر فى المتن ، كما أنها طريقة تربى الدارس والقارئ على الامانة فى القول والنقل . و قد كان علماء المسلمين يستجيبون للتوجيه القرآنى « يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ، أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » (الحجرات / ٦) . ولم يشهد تاريخ أمة من الأمم مثل هذا التدقيق فى الرواية و النقل ، ومن المؤسف أن هذا النهج الأمثل لم يستمر فى القرون المتأخرة بالنسبة لكثير من المؤرخين ، ومما يثير أسفاً أشد أن الافادة من هذا النهج فى تمحيص الروايات التاريخية التى التزمته لم يتمرس به المعاصرون من المتخصصين فى الدراسات التاريخية بالبلاد الاسلامية .

و كان الدين محورا للدراسة و معيارا للتقويم ، و من ثم حرص المؤرخون على رواية ما ورد من آثار فى فضائل البلدان أو مناقب الأشخاص . وهذا وإن كانت





قد تخللته مبالغة فى القول وآثار موضوعة مدخولة أحياناً ، إلا أنه يمثل احتكاماً إلى شهادة الدين فى كل أمر . روى ابن عبد الحكم فى كتابه (فتوح مصر و المغرب) فى سياق خطبة جمعة لعمرو بن العاص حاكم مصر : « حدثنى عمر أمير المؤمنين إنه سمع رسول الله ﷺ يقول : ( إن الله سيفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيراً فان لكم منهم صهراً وذمة ) فمفوا أيديكم و فروجكم و غضوا أبصاركم . ولا اعلمن ما أتى رجل قد أسمن جسمه وأهزل فرسه ، و اعلموا أنى معترض الخيل كاعتراض الرجال ، فمن أهزل فرسه من غير علة حططته من فريضته قدر ذلك ، و اعلموا أنكم فى رباط إلى يوم القيامة لكثرة الاعداد حولكم ، و تشوف قلوبهم إليكم و إلى داركم - معدن الزرع والمال والخير الواسع و البركة النامية و حدثنى عمر أمير المؤمنين أنه سمع رسول الله ﷺ يقول (إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جنداً كثيفاً فذلك الجند خير أجناد الأرض )فقال له أبو بكر : ولم يارسول الله ؟ قال : (لأنهم وأزواجهم فى رباط إلى يوم القيامة ) فاحمدوا الله معشر الناس على ما أولاكم . . . . . » (١) . وروى البلاذرى عن محمد بن سعد عن الواقدى أن ابن هرمز الأعرج القارىء كان يقول : « خير سواحلكم رباط الاسكندرية . نخرج إليها من المدينة مرابطاً ، فمات بها سنة سبع عشرة و مائة »(٢) ، و ذكر أبو المحاسن بن تغرى بردى فى استفتاح كتابه ( النجوم الزاهرة ) ضمن بيانه نهجه : « واطلق عنان القلم فيما جاء فى فضلها وذكرها من الكتاب العزيز وما ورد فى حقها من الأحاديث وما اختصت به من المحاسن فصار لها على غيرها بذلك التميز » . ويقول

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر و المغرب - تحقيق عبد المنعم عامر - القاهرة ١٩٦١ - ص ١٩١ .

(٢) البلاذرى - : فتوح البلدان - مراجعة رضوان محمد رضوان - القاهرة ص ٢٢٤

الجغرافى المقدسى فى كتابه (أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم) عن اقليم الشام « إقليم الشام جليل الشأن ، وديار النبيين ومركز الصالحين . . به القبلة الأولى ، و موضع الحشر والمسرى ، والأرض المقدسة ، و الرباطات الفاضلة والثغور الجليلة و الجبال الشريفة ، ومهاجرا إبراهيم و قبره ، وديار أيوب و بئره ، ومحراب داود وبابه ، و عجائب سليمان و مدنه ، و تربة اسحاق و أمه ، و مولد المسيح و مهده ، وقرية طالوت و نهره ، و مقتل جالوت و حصنه ، و جب أرميا و حسبه ، و مسجد أوريا و بيته ، و قبة محمد و بابه ، وصخرة موسى و ربوة عيسى و محراب زكريا و معترك يحيى ، و مشاهد الأنبياء و قرى أيوب و منازل يعقوب و المسجد الأقصى . . . . و مساجد عمر و وقف عثمان . . . . إلخ » (١) .

وقد استثمرت كتابة التاريخ و التراجم و السير تربوياً ، فاتجهت إلى دراسة تاريخ الأحداث للعبرة ، و دراسة سير الأفذاذ المبرزين للقدوة . . . . و قد سمى ابن خلدون ( المتوفى ٨٠٨هـ ) كتابه فى التاريخ ( العبر وديوان المبتدأ و الخبر فى أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر ) . و هو يقول فى صدر كتابه : « إعلم أن فن التاريخ فن غزير المذهب جم الفوائد شريف الغاية ، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم فى أخلاقهم والأنبياء فى سيرهم ، والملوك فى دولهم وسياستهم ، حتى تتم فائدة الاقتداء فى ذلك لمن يرومه فى أحوال الدين و الدنيا » (٢) وقد وجه القرآن المسلمين إلى الاعتبار بأخبار النبيين و الأولين « لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب » (يوسف / ١١١) ، « أولئك الذين هدى

(١) المقدسى : احسن التقاسيم ص ١٥١ .

(٢) ابن خلدون : المجلد الأول من تاريخه وهو المقدمة - دار الكتاب اللبنانى ببيروت ط ٣ - ١٩٦٧ - ص ١٢ .





الله فبهداهم اقتداه ، قل لا أسئلكم عليه أجراً إن هو إلا ذكر للعالمين » ( الأنعام ٩٠) . وتتحقق العبرة بتدبر عاقبة الظالمين المسرفين مثلما تتحقق بتدبر عاقبة أهل الايمان و الحق المجاهدين « قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين » (آل عمران ١٢٧) . « إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس ، وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء ، والله لا يحب الظالمين . و ليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين » ( آل عمران ١٤٠-١٤١ ) « كدأب آل فرعون و الذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم ، إن الله قوى شديد العقاب . ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم إن الله سميع عليم . كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا آيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم و أغرقنا آل فرعون و كل كانوا ظالمين » ( الأنفال ٥٢ - ٥٤) ، « وكأين من قرية أمليت لها وهى ظالمة ثم أخذتها و إلى المصير » (الحج / ٤٨) ، « فكأين من قرية أهلكناها و هى ظالمة فهى خاوية على عروشها و بئر معطلة و قصر مشيد . أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها ، فانها لا تعمى الأبصار و لكن تعمى القلوب التى فى الصدور » ( الاسراء/١٦ ) ، « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذوفضل على العالمين » ( البقرة / ٢٥١ ) . وتجد فى ثنايا روايات المؤرخين إشارات بليغة إلى العبرة والموعظة الحسنة ، ولا تخلو منها كتابات المتأخرين مثل ابن تغرى بردى فى كتابه ( النجوم الزاهرة فى أخبار مصر و القاهرة ) .

و لقد درج الطبرى على أن يفرد جانباً لمناقب الخليفة وقسمات شخصيته بعقب خبر وفاته . وهو يبرز ما عرف من مآخذ أحياناً على الخلفاء الذين أتوا بعد الراشدين لتكون تبصرة للمعتبرين ، ، فيجتنبون الخطأ مثلما يتبعون الحسن والصواب . وقد ألف

ابن الجوزى فى مناقب الصالحين من الحكام و العلماء ليبصر الخلف بسيرة السلف و ينهجوا نهجهم . قال فى تقديم كتابه ( مناقب الامام أحمد بن حنبل ) : « . . . . فمن سبر حال نبينا عليه السلام علم فضله على جميع الأنبياء فى العلم و العدل ، و من نظر فى علوم أمتنا رأى من علوم علمائهم ما يعجز عنه الأحبار ، و من عبادة متعبديهم ما يقصر عنه الرهبان ، ولا نظر إلى صورة الترهبن فان التعبد بموافقة المشروع و مخالفة الهوى أشد و أعظم . فالعلم و العمل بحمد الله فى أمتنا فاش كثير ، غير أنى بحثت عن فائق مرتبة الكمال فى الأمرين - أعنى العلم والعمل - من التابعين ومن بعدهم فلم أجد من تم له الأمران عل الغاية التى لا يخدش وجه كمالها نوع نقص سوى ثلاثة أشخاص : الحسن البصرى و سفيان الثورى و أحمد بن حنبل . . . . ثم رأيت أحمد جمع من العلوم ما لم يجمعا وحمل من الصبر ما لم يحملا . . . . فرأيت أن أصرف بعض زمنى إلى تهذيب كتاب يشتمل على مناقبه وآدابه ، ليعرف المقتدى قدر من اقتدى به » (١) .

و من الخصائص الاسلامية لأدب التاريخ و التراجم اعتبار وحدة أرض الاسلام مهما كانت التخوم و الحواجز الطبيعية و السياسية . . . يظهر هذا بطبيعة الحال فيمن أداروا مصنفاتهم على التاريخ الاسلامى العام ، لكنه يظهر جلياً ايضاً فيمن عالجوا تاريخ قطر أو دولة و مدينة ، فانهم لم يغفلوا أحداث سائر بلاد الاسلام ، ولا سيما وقت وحدة أرض الاسلام تحت سلطان الخلافة ، و إن كان لا ينقطع ذلك بصورة ما حين تجزأت ملك الأرض بين دول متعاصرة . و يظهر هذا مثلا فى كتاب ابن تغرى بردى عن تاريخ مصر .

و مما سبق إليه مؤرخو الاسلام تلك العلاقة الوثيقة الحميمة بين الانسان والأرض أو بين التاريخ و الجغرافيا فان مسرح الأحداث له أثره على مسيرة الحرب

(١) ابن الجوزى : مناقب الامام أحمد بن حنبل تحقيق د/ عبد الله التركى ص ٢٦ - ٢٧ .





و إدارة الدولة . و يتضح هذا الاهتمام بهذا الارتباط و الترابط عند المؤرخين والجغرافيين المسلمين على حد سواء . . . ونجده عند مؤرخى التاريخ الاسلامى العام أمثال المسعودى و ابن خلدون ، ( ونجد هذا جليا فى كتابى المسعودى ( مروج الذهب ) و ( التنبيه و الاشراف ) و فى مقدمة ابن خلدون و تاريخه ، وعند من عنوا بالتاريخ المحدود بمكان أو زمان مثل المقريزى و ابن تغرى بردى . وقد أورد ابن خلدون مثلا فى ( مقدمته ) التى تكون المجلد الأول من تاريخه ما يلى : « اعلم أنه قد تبين فى كتب الحكماء الناظرين فى أحوال العالم أن شكل الأرض كروى فانها محفوفة بعنصر الماء . فانحسر الماء عن بعض جانبها لما أراد الله تكوين الحيوانات فيه و عمرانها بالنوع البشرى الذى له الخلافة على سائرها. و قد يتوهم من ذلك أن الماء تحت الأرض و ليس بصحيح ، وإنما التبحث الطبيعى قلب الأرض و وسط كرتها الذى هو مركزها ، و الكل يطلبه بما فيه من الثقل ، و ماعدا ذلك من جوانبها . و أما الماء فهو فوق الأرض » (١) . وقد لاحظ ابن خلدون أن الربع الشمالى من الأرض أكثر عمرانا من الربع الجنوبى و حاول تعليل ذلك ، كما عرض للمعتدل من الأقاليم و المنحرف و تناول تأثير المناخ فى أحوال البشر . و عنى المقريزى و ابن تغرى بردى بوصف مصر قبل استعراض تاريخها » و استفادا من كتب البلدان والرحلات ، وأسهبا فى الكلام عن نهر النيل و تسجيل تقلباته من النقص و الفيضان على مر السنين و ما ابتنى من مقاييس لرصد مستوى المياه وما كان من نتائج اقتصادية و اجتماعية للنقصان و الزيادة فى ماء النيل . وقد أفرد المقريزى كتاباً مركزاً قيماً لتاريخ المجاعات و الشدائد أو الأزمات الاقتصادية بمصر أول أسبابها و علاجها اسماه « اغاثة الأمة بكشف الغمة » .

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ٧٤ .

# الأدب الاسلامى وصلته بالحياة

( ٣ )

فضيلة الأستاذ محمد الرابع الحسنى النـــدوى
رئيس كلية اللغة العربية جامعة ندوة العلمـاء

لقد كانت الميزة الاساسية للادب الاسلامى كما ظهر من النماذج المـذكورة هو الالتزام بالطبيعة الاسلامية ، وهذه الطبيعة لم تكن محدودة فى أغراض أدبية خاصة، مثل طبائع أديان أخرى بحيث إنها تكون محدودة فى الأغراض الدينية وحـدها ، فآداب هذه الأديان لا تتصل بالحياة إلا فى هذه المجالات وحدها ، و أما المجالات الدنيوية من الحياة ، فهى إما تشطب شطباً من أن يمثلها الأدب فيهـا و إما تهمل إهمالا فتمارس كما تمارس فى الآداب الحرة الهاملة ، و لذلك أصبح مفهوم الأدب المنسوب إلى دين هو مفهوم الأدب الدينى لا غير .

أما الأدب الاسلامى فهو واسع مع الالتزام ومقيد مع الشمول ، يتصل بجميع مجالات الحياة الدينية والدنيوية ولكنه ملتزم فى حدود الطبيعة الاسلامية ، والطبيعة الاسلامية هى الفطرة التى فطر خالق الناس الناس عليها ، ففيها سرور وحزن وفيها شعور الارتياح و الأسى ، وسرور الرضا و السخط ، وفيها العتاب و الاستعتاب ، و العفو و الانتقام ، و المباعدة و الوئام ، و ليس الأدب فى أى لغة من لغـات البشر إلا حديثاً عن كل ذلك ، ولا يفرض التوجيه الاسلامى على أدب المسلم إلا أن يتجنب السوء و الخبث ، و هذه هى الطبيعة التى فطر الناس عليهـا ، و الوحى للمرسل من فاطر الفطرة إلى نبيه ﷺ أوضح لنا أبعاد الخير والشر فيها ، كما أودع فى الفطرة الانسانية أيضاً شعوراً بذلك ، فقـد ورد فى الحديث الصحيح ، البر حسن الخلق ، و الاثم ما حاك فى صدرك و كرهت أن يطلع عليها الناس ( مسلم ) .





ظهرت سعـــة الأدب الملتزم الاسلامى من نصوص كلام الرسول ﷺ و كلام صحابتـه و تنوعت إلى أنواع مختلفة ، وتجلت فى الأقسام الأدبية السائدة فى عصرهم و هى فى الكلام المنثور ، الخطبة و الحديث و الرسالة .

كانت هذه الأقسام الأدبية هى العماد التى اعتمد عليها أدب عصرهم و لكن تجلت القوة الأدبية فى الخطبة و الرسالة بصورة أكثر ، لأنهما كانتا تنشئان باهتمام زائد ، و اشتـــدت حاجة الحياة الجديدة إليهما أكثر من غيرهمـــا ، لشيوع عمل الدعوة و التوجيه و الارشا ، و ظهور مهام الحكم و النظام .

أما الخطابة فقد اعتمدت على أسسها القديمة و زانت نفسها بصور فنية جديدة اقتسبتها من البيان القرآنى المؤثر الرائع و أضفى هذا الاقتباس و الاستفادة عليها مزيداً من القوة و البراعة .

أما الرسائل فقـــد برزت بصورة أجلى و أقوى ، و ظهرت كقسم أدبى ملموس ، وذلك لأن العرب بانتقالهم من جاهليتهم الأمية إلى الاسلام المثقف خرجوا من انعزاليتهم البدوية إلى المجلوات الاسلامية الاجتماعية والسياسية ، وكانت الرسائل من أجدى وسائل الابلاغ و التوجيـه فى حيـاة الاجتماع الجديدة ، و لذلك مثل هذان القسمان الأدبيان أدب الصحابة رضى الله عنهم بصورة خاصة ، و برزا فى أدب الصحابى الجليل الخليفة الراشد الرابع على بن أبى طالب بصورة أجلى وأقوى و قـــد تربى رضى الله عنه تحت إشراف ابن عمه الرسول ﷺ و تلقى المؤهلات البيانية منه لقربه منه و لتوفر فرص الاستفادة منه ، كما أن العهد الذى تولى فيه الحكم و إدارة النظام كان عهـــداً مضطرباً ، تستدعى إلى براعة القول و العمل كليهما ، لجأ على رضى الله عنه إلى اختيار وسائل البيان ، فقد ظهر ذلك جلياً فى خطبه و رسائله :

و توجد خطبه و رسائله كغيره من الرجالات فى كتب التاريخ و هى لا توخذ بعين الثقة الكاملة والاعتماد التام لأن المبالغين فى حبه رضى الله عنه قد بالغوا فى رواية كل كلام منسوب إليه ، مستحسن فى نظرهم ، ولذلك لايوخذ كلام سيدنا على رضى الله عنه من كتب التاريخ ومن نهج البلاغة إلا بعد النقد لمضمون هذا الكلام و ثبوت مستواه الخاص ، لأن الصحابة رضى الله عنهم كانوا ملتزمين بالحياة الاسلامية ، فلابد أن يكون كلامهم أيضاً على هذا المستوى الرفيع من الالتزام الاسلامى .

أقدم هنا صورة مختارة من أدب على بن أبى طالب كرم الله وجهه مقتبسة من خطبه و رسائله :

خطب سيدنا على بن أبى طالب أمام أنصاره مبدياً تحسره على ذهاب أصحابه المثاليين المخلصين و بقاء قلة قليلة منهم ، مظهراً حنينه إلى هولاء السابقين يقول :

هذا جزاء من ترك العقدة ، أما والله لو أنى حين أمرتكم بما أمرتكم به حملتكم على المكروه الذى يجعل الله فيه خيراً ، فإن استقمتم هديتكم ، وإن اعوججتم قومتكم ، و إن أبيتم تداركتكم ، لكانت الوثقى ، و لكن بمن و إلى من ؟ أريد أن أداوى بكم و أنتم دائى كناقش الشوكة بالشوكة و هو يعلم أن ضلعها معها ، اللهم قد ملت أطباء هذا الداء الدوى وكلت النزعة بأشطان الركى ، أين القوم الذين دعوا إلى الاسلام فقبلوه ، و قرأوا القرآن فأحكموه ، و هيجوا إلى القتال فولهوا ولله اللقاح إلى أولادها ، وسلوا السيوف من أغمادها ، وأخذوا بأطراف الأرض زحفاً زحفاً و صفاً صفاً : بعض هلك ، و بعض نجا ، لا يبشرن بالأحياء ، ولا يعزون بالموتى ، مره العيون من البكاء ، خمص البطون من الصيام ، ذبل الشفاه من الدعاء ، صفر الألوان من السهر ، على وجوههم غبرة الخاشعين .





أولئك إخوانى الذاهبون ! فحق لنا أن نظمأ إليهم و نعض الأيدى على فراقهم .

## عزاء على وفاة سيدنا أبى بكر :

لما قبض أبو بكر رضى الله عنه سجى بثوب فارتجت المدينة بالبكاء عليه ، ودهش القوم كيوم قبض رسول الله ﷺ وجاء على بن أبى طالب باكياً مسرعاً مسترجعاً حتى وقف بالباب و هو يقول : « رحمك الله أبا بكر كنت والله أول القوم إسلاماً و أعظمهم غناء و أحفظهم على رسول الله ﷺ و أحربهم على الاسلام و أحناهم على أهله ، و أشبههم برسول الله ﷺ خلقاً و فضلا و هدياً و سمتاً ، فجزاك الله عن الاسلام و عن رسول الله و عن المسلمين خيراً ، صدقت رسول الله حين كذبه الناس ، و واسيته حين بخلوا ، و قمت معه حين قعدوا ، سماك الله فى كتابه صديقاً فقال : « و الذى جاء بالصدق و صدق به » يريد محمداً و يريدك ، كنت والله للاسلام حصناً وعلى الكافرين عذاباً ، لم تفل حجتك ولم تضعف بصيرتك ولم تجبن نفسك ، كنت كالجبل لا تحركه العواصف و لا تزيله القواصف ، كنت كما قال رسول الله ﷺ ضعيفاً فى بدنك قوياً فى أمر الله ، متواضعاً فى نفسك عظيماً عند الله ، قليلا فى الأرض كثيراً عند المؤمنين ، لم يكن لأحد عندك مطمع و لا لأحد عندك هوادة ، فالقوى عندك ضعيف حتى تأخذ الحق منه و الضعيف عندك قوى حتى تأخذ الحق له ، فلا أحرمنا الله أجرك و لا أضلنا بعدك ( العقد الفريد ج ٣ ) » .

## شرح و إيضاح للقضية :

و له رسالة يشرح فيها القضية التى كان وقع فيها كثير من الناس فى شبهة و التباس ، و هى قضية استشهاد عثمان بن عفان و ولايته لأمر المؤمنين .

« من عبدالله على أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة جبهة الأنصار وسنام العرب .

أما بعد : فانى أخبركم عن أمر عثمان حتى يكون سمعه كعيانه ، إن الناس طعنوا عليه فكنت رجلا من المهاجرين أكثر استعتابه و أقل عتابه ، وكان طلحة و الزبير أهون سيرهما فيه الوجيف ، و أرفق حدائهما العنيف ، و كان من عائشة فيه فلتة غضب ، فأتيح له قوم فقتلوه ، و بايعنى الناس غير مستكرهين ولامجبرين ، بل طائعين مخيرين .

و اعلموا أن دار الهجرة قد قلعت بأهلها وقلعوا بها ، و جاشت (جيش) المرجل ، و قامت الفتنة على القطب ، فأسرعوا إلى أميركم ، و بادروا جهاد عدوكم ، إن شاء الله » . ( نهج البلاغة)

كانت هذه طائفة من نماذج صدر الاسلام من الأدب المنثور ،كان أدب الرسول عليه السلام كله منثوراً ، أما أدب غالبية الصحابة فكان منثوراً أيضاً لما رأوا من إيثار القرآن للكلام المنثور على الكلام المنظوم ونعيه على جانب كثير من الكلام الشعرى المنظوم ، ولكن عدداً من الصحابة لم يزالوا ممارسين للادب الشعرى المنظوم و ذلك بسماح الرسول ﷺ و أمره بذلك و لاستحسانه للشعر الملتزم البناء ، و لقوله إن للشعر تأثيراً أشد على الأعداء من تأثير النبل ، و بذلك وجد الشعر لنفسه طريقاً مفتوحاً لأداء مسؤلية التعبير عما تجيش به النفوس من مشاعر وتأملات و بدأ يشارك النثر فى أداء الواجب ، و بقى الشعر ملتزماً بطبيعة الحياة الاسلامية فى عهد الرسول ﷺ و عهد صحابته و ما طال عليه الأمد إلا و بدأ يتبختر و يعربد ، فقد هذا الشعر أدباً غير إسلامى لأنه لم يلتزم ، و إن كان مؤرخو الأدب يسمون كل شعر قيل إلى نهاية العهد الأموى شعراً إسلامياً ، و هو اسم لتاريخه و ليس لتاريخه معنى و مضموناً .





أما شعر الصحابة رضى الله عنهم فقد كان ملتزما و هو مع تقيده بالطبيعة الاسلامية يتسع مع اتساع حياة عهده ، ففيه سرور و حزن و رضى و سخط و عتاب و استعتاب ، و وصف و حكمة .

نبغ من الشعراء والممثلين لهذا العهد سيدنا حسان بن ثابت الأنصارى بصورة خاصة ، و قد أمره الرسول ﷺ بقول الشعر و المنافحة عن الاسلام و وضع له منبراً فى مسجده الشريف و مدحه و فداه .

و شاركه من الشعراء سيدنا عبد الله بن رواحة و سيدنا كعب بن مالك ، هولاء الثلاثة من الشعراء الذين استخدموا الشعر للحياة الجديدة المتشرفة أما غيرهم فعددهم محترم و لبعضهم جلالة شعرية مثل لبيد بن ربيعة صاحب إحدى المعلقات والخنساء أكبر شواعر العربية جمعاء ، وعباس بن مرداس ، و النابغة الجعدى ، و لكنهم آثروا الحيطة و الزهد فى ممارسة الشعر ، أو لم يبلغوا مبلغ الثلاثة المتقدمين ، و أقدم هنا بعض النماذج المختارة من الشعر الاسلامى :

## نماذج من شعر الصحابة رضى الله عنهم

### فى أغراض مختلفة

### المديح :

يقول : شاعر الرسول ﷺ حسان بن ثابت رضى الله عنه فى مدحه و الدفاع عن الاسلام و ذلك عند مناقضته لشعر زبرقان بن بدر .

إن الذوائب من فهر و إخوتهم ... قد بينوا سنة للناس تتبع

يرضى بها كل من كانت سريرته ... تقوى الاله و بالأمر الذى شرعوا

قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم ... أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا

بحيـة تلك منهم غير محدثة
إن الخلائق ، فاعلم ، شرها البدع

لا يرقع الناس ما أوهت أكفهم
عند الدفاع ، و لا يوهون ما رقعوا

إن كان فى الناس سباقون بعدهم
فكل سبق لأدنى سبقتهم تبع

و لا يضنون عن مولى بفضلهم
و لا يصيبهم فى مطمع طبع

لا يجهلون ، و إن حاولت جهلهم
فى فضل أحلامهم عن ذاك متسع

أعفـة ذكرت فى الوحى عفتهم
لا يطمعون ، و لا يرديهم الطمع

كم من صـديق لهم نالوا كرامتـه
و من عدو عليهم جاهد جدعوا

أعطوا نبى الهدى و البر طاعتهم
فما ونى نصرهم عنه و ما نزعوا

إن قال سيروا أجدوا السير جهدهم
أو قال عوجوا علينا ساعة ، ربعوا

مازال سيرهم حتى استقاد لهم
أهل الصليب ، و من كانت له البيع

خذ منهم ما أتى عفواً إذا غضبوا
و لا يكن همك الأمر الذى منعوا

فان فى حربهم ، فاترك عـداوتهم
شراً يخـاض عليه الصـاب و السلع

نسمو إذ الحرب نالتنا مخالبها
إذ الزعانف من أظفارها خشعوا

لا فخر إن هم أصابوا من عدوهم
و إن أصيبوا فلا خور و لا جزع

كأنهم فى الوغى ، و الموت مكتنع
أسد بيشة فى ارساغهـا فدع

إذا نصبنا لقوم لا ندب لهم
كما يدب إلى الوحشيـة الذرع

أكرم بقوم رسول الله شيعتهم
إذا تفرقت الأهواء و الشيع

أهدى لهم مدحى قوم يؤازره
فيما يحب لسان حائك صنع

فانهم أفضل الأحياء كلهم
إن جد بالناس جد القول أو شمعوا

## شكوى و استعطاف :

يقول : حسان بن ثابت الأنصـارى رضى الله عنـه حينما وجد الأنصار





فى نفوسهم شيئـاً من الشكوى على إعطـاء الغنائم لسادة مكة و المؤلفـة قلوبهم و عدم وصولها إلى الأنصار .

زادت هموم ، فماء العين ينحدر
سحا إذا أغرقتـه عبرة درر

وجداً بشعثـاء ، إذ شعثـاء بهكنة
هيفـاء ، لا دنس فيهـا و لا خور

دع عنك شعثـاء ، إذ كانت مودتها
نزراً ، و شر وصال الواصل النزر

وأت الرسول فقل يا خير مؤتمن
للمؤمنين ، إذا ما عدل البشر

علام تدعى سليم ، و هى نازحـة
أمام قوم هم آووا ، و هم نصروا

سماهم الله أنصـارا لنصرهم
دين الهدى و عوان الحرب تستعر

و جاهدوا فى سبيل الله و اعترفوا
للنـائبات فما خاموا و لا ضجروا

و النـاس ألب علينا ، ثم ليس لنـا
إلا السيوف و أطراف القنا ، وزر

و لا يهر جناب الحرب مجلسنا
و نحن حين تلظى نارهـا سعر

و كم رددنا بيدر ، دون ما طلبوا
أهل النفاق ، و فينـا أنزل الظفر

و نحن جندك يوم النعف من أحد
إذا حزبت بطراً أشياعها مضر

فما ونينـا ، و ما خمنا و ما خبروا
منا عشاراً ، و جل القوم قد عثروا

## الهجاء :

و هجا حسان بن ثابت الأنصارى رضى الله عنـه هذيلا على خفرهم ذمة رسول الله ﷺ وقتلهم لوفده التعليمى الكريم غيلة فى موضع يسمى بالرجيع .

فلا والله ما تدرى هذيل
أصـاف ماء زمزم أم مشوب

و لا لهم إذا اعتمروا و حجوا
من الحجرين و السعى نصيب

و لكن الرجيع لهم محل
به اللؤم المبين و العيوب

كأنهم لدى الكنـات أصلا
تيوس بالحجـاز لها نبيب

هم غروا بذمتهم خبيباً فبئس العهد عهدهم الكذوب

## الاعتذار :

قال عبد الله بن الزبعرى رضى الله عنه حين أسلم متعذراً عن إبطائه فى قبول الاسلام .

منع الرقاد بلابل و هموم و الليل معتلج الرواق بهيم
مما أتانى أن أحمد لا منى فيه فبت كأننى محموم
يا خير من حملت على أوصالها عيرانة سرح اليدين غشوم
إنى لمعتذر إليك من الذى أسديت إذ أنا فى الضلال أهيم
أيام تأمرنى بأغوى خطة سهم و تأمرنى بها مخزوم
و أمد أسباب الردى و يقودنى أمر الغواة و أمرهم مشئوم
فاليوم آمن بالنبى محمد قلبى و مخطئى هذه محروم
مضت العداوة و انقضت أسبابها و دعت أواصر بيننا و حلوم
فاغفر فدى لك والدای كلاهما زللى ، فانك راحم مرحوم
و عليك من علم المليك علامة نور أغر و خاتم مختوم
أعطاك بعد محبة برهانه شرفاً و برهان الاله عظيم
و لقد شهدت بأن دينك صادق حق و إنك فى العباد جسيم
و الله يشهد أن أحمد مصطفى مستقبل فى الصالحين كريم
قرم علا بنيانه من هاشم فرع تمكن فى الذرى و أروم

## مدح و اعتذار :

قال حسان بن ثابت رضى الله عنه فى مدح أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها وفى الاعتذار عما صدر منه من التكلم بالشائعات التى تكلم بها عدد من الناس فى قضية الافك .





حصان رزان ما تزن بريبة و تصبح غرثى من لحوم الغوافل
حليلة خير الناس ديناً و منصبا نبى الهدى ، و المكرمات الفواضل
عقيلة حى من لؤى بن غالب كرام المساعى ، مجدها غير زائل
مهذبة قد طيب الله خيمها و طهرها من كل سوء و باطل
فان كنت قد قلت الذى قد زعمتم فلا رفعت سوطى إلى أناملى
و إن الذى قد قيل ليس بلائط بها الدهر بل قول امرىء بى ماحل
فكيف و ودى ما حييت و نصرتى لآل نبى الله زين المحافل
له رتب عال على الناس كلهم تقاصر عنه سورة المتطاول
رأيتك ، و ليغفر لك الله حرة من المحصنات غير ذات غوائل

## حب فى الشهادة فى سبيل الله :

قال عبد الله بن رواحة (رضى الله عنه ) فى حب الشهادة فى غزوة مؤتة .

إذا أديتنى و حملت رحلى مسيرة أربع بعد الحساء
فشأنك أنعم و خلاك ذم و لا أرجع إلى أهلى ورائى
و جاء المسلمون و غاد ردنى بأرض الشام مشتهى الثواء
و ردك كل ذى نسب قريب إلى الرحمن منقطع الاخاء
هنالك لا أبالى طلع بعل و لا نخل أسافلها رواء

و قال و هو يحمل حملة شديدة :

أقسمت بالنفس لتنزلنه لتنزلن أو لتكرهنه
إن أجلب الناس و شدوا الرنة ما لى أراك تكرهين الجنة
قد طال ما قد كنت مطمئنة هل أنت إلا نطفة فى شنة

و قال :

بانفس إلا تقتلى تموتى هـذا حام الموت قد صليت
و ما تمنيت فقـد أعطيت إن تفعلى فعلهـا هديت

و قال جعفر بن أبى طالب :

يا حبذا الجنـة و اقترابهـا طيبـة وباردا شرابهـا
و الروم روم قـد دنا عذابها كافرة بعيـدة أنسابهـا
على إذ لاقيتهـا ضرابهـا

## الرثاء :

شعر كعب بن مالك فى رثاء قتلى موتة :

نام العيون و دمع عينك يهمل مسحا كما و كف الطباب المخضل
فى لبلة وردت على همومها طوراً و تارة أتململ
و اعتـادنى حزن فبت كـأننى بينـات نعش و السماك موكل
و كأنما بين الجوانح و الحشى مما تأوبنى شهـاب مـدخل
وجداً على النفر الذين تتابعوا يوماً بمؤتة أسندوا لم ينقلوا
صلى الاله عليهم من فتيـة و سقى عظامهم الغمام المسبل
صبروا بموتة للاله نفوسهم حذر الردى و مخافة أن ينكلوا
فمضوا أمام المسلمين كـأنهم فنق عليهن الحـديد المرفل
إذ يهتـدون بجعفر و لوائه قـدام أولهم فنعم الأول
حتى تفرجت الصفوف و جعفر حيث التقى وعث الصفوف مجدل
فتغير القمر المنير لفقـده و الشمس قد كسفت و كادت تأفل
قوم علا بنيانه من هاشم فرعاً أشم و سؤدداً ما ينقل





قوم بهم عصم الاله عبـاده و عليهم نزل الكتاب المنزل
فضلوا المعاشر عزة و تكرماً و تعمدت أحلامهم من يجهل
لا إلى يطلقون السفاه جبـاهم و يرى خطيبهم بحق يفصل
بيض الوجوه ترى بطون أكفهم تنـدى إذا اعتذر الزمان الممحل
و بهديهم رضى الاله لخلقه و بجـدهم نصر النبى المرسل

## مذمة و تقبيح :

يقول حسان بن ثابت الأنصارى رضى الله عنه ذاماً لبغى شرذمة من الناس و قتلهم للخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه .

أ تركتم غزو الدروب و جئتم لقتـال قوم عند قبر محمد
فلبئس هدى الصالحين هديتم و لبئس فعل الجاهل المعتمد
إن تقبلوا نجعل قرى سرواتكم حول المدينـة كل لدن مذود
أو تدبروا ، فلبئس ما سافرتم و لمثل أمر أمامكم لم يهتد
و كان أصحاب النبى ، عشية بدن تنحر عند باب المسجد
فابك أبا عمرو لحسن بلائه أمسى مقيماً فى بقيع الغرقد

**و قال :**

ماذا أردتم من أخى الخير باركت يد الله فى ذاك الأديم المقدد
قتلتم ولى الله فى جوف داره و جئتم بأمر جائر غير مهتدى
فهلا رعيتم ذمة الله وسطكم و أوفيتم بالعهد عهـد محمد
ألم يك فيكم ذا بلاء و مصدق و أوفاكم عهـدا لدى كل مشهد
فلا ظفرت ايمان قوم تظافرت على قتل عثمان الرشيد المسدد

# دراسات وأبحاث


- طريق ( عملى ) لوحدة المسلمين
- آراء الامام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى
- فصل جديد فى مسلسل العدوان والتشريد


## طريق ( عملى ) لوحدة المسلمين


الدكتور عبد الحليم عويس
أستاذ مشارك بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية
( الرياض )


ليس بالعقيدة وحدها يستقيم أمر الاسلام و لا واقع المسلمين . فالعقيدة - كالروح - مع أهميتها - لاتستطيع أن تعيش فى واقع الحياة إلا بجسد . . وهذا الجسد هو الشريعة . . و بالتالى ، فلا عقيدة حية بدون شريعة قوية .

وإنما ارتبك المسلمون ما ارتبكوه فى واقعهم ، وقصروا ما قصروا فى الوصول إلى حلول عملية تلم شعثهم ، حين راحوا يركزون على العقيدة ، أو على تربية الوجدان فقط ، و كأنهم يعطون الشريعة أهمية ثانوية أو تكميلية .

و أنت إذا قلت لهم : وازنوا بين العقيدة و الشريعة ، و اجمعوهما فى سياق واحد متكامل متوازن - قالوا لك : إن العقيدة هى الأساس ، و هى الأهم ، و باصلاح العقيدة ستصلح الشريعة ، و سيستجيب الناس لأوامر ربهم و يخضعون لسلطانه و يحكمون شريعته فى حياتهم .

وهذا القول ظاهره صحيح و مقبول ، بيد أننا إذا وضعناه على محك التطبيق ظهر أنه ليس شرطاً أن تصح فى عقول الناس عملية الربط بين العقيدة والشريعة .

فكثير من الناس يبطنون إيماناً قوياً بالله ، و ينزهونه - سبحانه - عن كل مظاهر الشرك ، بل و تجد منهم - فى بعض المواقف - رسوخ إيمان و ثقة كاملة فى الله مع أنك تجدهم لا يلتزمون كثيراً بتطبيق كثير من جوانب شريعة الله على حياتهم

العائلية أو جوانب المعاملات - و هو تناقض غريب - لكنه يقع، و لا يستطيع امرؤ أن يفتى بتجريد هؤلاء الناس من الايمان بالله .

ولقد عاش المسلمون فى مكة ثلاثة عشر عاماً، وكان جل اعتمادهم على جوانب العقيدة و التربية العقيدية و الأخلاقيـــة التى رباهم عليها رسول الله ﷺ - لكن هؤلاء المسلمين - مع ذلك - لم يبرز دورهم فى التاريخ ، و لم تظهر آثار التربية العقائدية و الأخلاقية التى رباهم عليها محمد ، ولم تنكشف جوانب عظمتهم كمثل عليا فى الحضارة ، وكتلامذة ممتازين لمدرسة النبوة الكريمة إلا يوم أتيح لهم أن يجدوا المكان الذى يطبقون فيه الشريعة ، و يصنعون فيه الحضارة ، لقد ظهرت بعد هذا مكانتهم فى التاريخ، ولقد استطاع الالتحام الجديد بين العقيدة والشريعة [ و الأخلاق جزء من شريعة الاسلام ] أن يبرز قدرة المبادىء الاسلامية، العامة، والعقيدة الاسلامية بخاصة ، على صناعة الرجال و صياغة الحضارة الملائمة لانسانية الانسان .

و من هنا يصح لنا أن نقول : إن ( العقيدة ) روح لا تستطيع أن تعيش وحدها فى الفضاء الخارجى ، بل لا بد لها من ( جسد ) تحل فيه ، و تحركه ، و تبث فيه جوانب الحركة ، و هذا الجسد هو الشريعة .

ومشكلة المشكلات فى تاريخ المسلمين، ولا سيما فى عصور تخلفهم أنهم يركزون على جوانب ، على حساب جوانب أخرى ، فبعضهم يهب نفسه و حياته و جهوده كلها فى سبيل ( تصحيح العقيدة ) ونشرها نشراً صحيحاً و مقاومة البدع والخرافات ، و بعضهم لا يكاد يعطى العقيدة ما تستحق من اهتمام ، و يهتم بالجوانب الوجدانية و الشعورية ، أو ينظر إلى الاسلام على أنه ( نظـام سياسى ) أو ( نظام اقتصادى ) دون أن يدرك مدى عمق الصلة بين جوانب العقدة و الروح و المادة و أن هذه الصلة العميقة الوثيقة التى لا تنفصم هى ميزة الاسلام ، وهى خصيصته





الـكبرى ، و هى عموده الأساسى ، و هى هدايته التى هى أقوم و أعدل و أحكم .

و لقد جرت هذه النظرة التشقيقية للاسلام إلى خطأ كبير وقع فيه العاملون للاسلام أنفسهم . . . وهذا الخطأ قد امتدت أحقاباً طويلة فى تاريخنا ، وعمل عمله فى تجريد الاسلام من فاعليته فى الحياة ، و من إبعاده عن إمكانيات التأثير . و هذا الخطأ الـكبير قد تركز فى ثلاث صور :

أولاها : الفصل بين علوم الدين وعلوم الدنيا، بحيث شاع بين المسلمين أن العلوم العملية و المهن والحرف هى علوم ( معاش لا علوم معـاد ) و أن العلوم المقربة إلى الله هى العلوم الأولى، و أما الثانية فهى فى الدرجة الثانية، مع أن الأمر (فرض كفاية فى الجميع ) و فرض عين ، عند الضرورة فى الجميع .

ثانيتها : دراسة الاسلام على أنه فكر وتراث و نظريات و فنون و شروح ، ولم يؤخذ فى إعتبار دراسة الاسلام مدى سلوك الطالب ، ومدى تمثيله للاسلام ، وهل يستحق شهادة اسلامية أو لا يستحق . بل دعونى أقل : إن بعض الجـامعـات و الكليات الاسلامية قد خرجت قوميين و علمانيين (١) ولو كانت الضوابط متزنة و شاملة ، لما انتسب هؤلاء إليها و لما تاجروا - حتى اليوم - بشهاداتها .

ثالثتهـا : قصر وسائل دراسة الاسلام ، و الدعوة إليه ، على الوسائل التجريدية النظرية ، والتقصير الواضح فى مجالات التطبيق الميدانى وهو المجال الأهم والأخطر .

و سأقدم نموذجاً أوضح به الفرق بين العمل الاسلامى الميدانى ، و العمل الاسلامى النظرى حتى يتضح للدعاة الحقيقيين إلى الاسلام الخطأ الـكبير الذى وقعنا فيه نحن المسلمين .

(١) لعل الـكثيرين لا يعلمون أن الدكتور محمد عمارة ( وهو قومى يسارى ) تخرج من قسم الفلسفة الاسلامية بكلية دارالعلوم - جامعة القاهرة ، وحتى اليوم فهو يجند قلمه للفكرة القومية و حرب الفكرة الاسلامية .

إن الجامعات الاسلامية كلها بلا استثناء - بل و بلا تخصيص حتى تكون دعوتنا خالصة لله و لا تؤذى مشاعر أحد - قد عاشت طويلا تدرس كتب الفقه الاقتصادى الاسلامى ، والفقه المقارن الزاخر بالجوانب الاقتصادية . . . وهى حين درست هذه الكتب درستها بطريقة جزئية من جانب ، و درستها خالية الذهن من ربطها بالتطبيق من جانب ثان ، فبدت وكأنها كتب فى التاريخ الفقهى الاقتصادى ، و ليست فى الاقتصاد الواقعى الحى ، بل إننى لأرى - إلى حد كبير - أن الفقه كله يدرس من منظور تاريخى أكثر منه فقه حياة واقعية ، فكأنه تاريخ الفقه فى قرون الاجتهاد و المجتهدين ، و كأننا و نحن ندرسه نحكى هذا التاريخ الفقهى ، سارين مسائله والخلافات حولها ، بأمانة شديدة ، محافظة منا على العنصر التاريخى فيه ، أكثر من محافظتنا على العنصر القياسى الابداعى الفاعل فى حياتنا المعاصرة و المضيء فى مجال حلول مشكلاتها من خلال فتح منافذ الاجتهاد .

و بين أيدينا - فى الفقه الاقتصادى الاسلامى - كنوز عظيمة ظلت تدرس بهذا المنظور ( التراثى و التجريدى ) مع شئ من الجزئية فى النظرة ، ومع بعض التعصب لاتجاه معين شق طريقه فى ظروف تاريخية سابقة ، فأصبح كأنه ( حتمية تاريخية ) مع أن أصحابه أنفسهم لم يروه كذلك ، و لم يريدوا له ذلك .

ففى المغرب العربى حيث يسود مذهب الامام مالك رضى الله عنه و الأندلس أعادها الله للاسلام - درست المدونة الكبرى للامام مالك بن أنس ( ١٧٩هـ ) و درست بداية المجتهد و نهاية المقتصد للامام أبى الوليد بن رشد الحفيد (٥٩٥هـ) و درس الجامع الكبير لأحكام القرآن للقرطبى ( م٦٧١هـ ) بأجزائه العشرين ، و درس الشرح الكبير للامام أحمد الدردير ى ( م١٢٠١هـ ) .

وفى مصر والشام وإندونيسيا وغيرها حيث يسود المذهب الشافعى رضى الله عنه





درس المجموع للامام محى الدين بن شرف النووى ( م٦٧٦ ) بأجزائه التسعة ، ودرس الأشباه والنظائر للسيوطى جلال الدين (م٩١١هـ) ودرس نهاية المحتاج على شرح المنهاج لشمس الدين الرملى ( م١٠٠٤هـ ) و درس متن أبى شجاع ، و الاقناع فى حل ألفاظ أبى شجاع للشيخ محمد الشربينى الخطيب الشافعى ، وكفاية الأخبار فى حل غاية الاختصار للامام تقى الدين أبى بكر بن محمد الحسينى الشافعى و غيرها ، و فى شبه القارة الهندية وباكستان بشطريها - وحدهما الله - حيث يسود مذهب أبى حنيفة رضى الله عنه درس المبسوط للامام شمس الدين السرخسى ( م٤٨٣هـ ) كما درس قبله كتاب الكافى للحاكم الشهيد أبى الفضل بن محمد المروزى ( م٣٣٤هـ ) و المبسوط كما هو معروف من أعظم و أكبر ما صنف فى الفقه الحنفى والفقه المقارن على السواء .

كما درس أحكام القرآن للامام أبى بكر الرازى الجصاص ( ت ٣٧٠هـ ) بأجزائه الثلاثة ، وتحفة الفقهاء، للامام علاء الدين السمرقندى (ت ٥٤٠هـ) وبدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع ، للامام الطاسانى المتوفى ٥٨٧هـ ، وهو شرح لتحفة الفقهاء و يقع فى سبعة أجزاء .

و فى الفقه الحنبلى فى الجزيرة العربية درس المغنى لابن قدامة (ت ٦٢٠هـ) ، كما انتشرت الفتاوى الكبرى للامام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ( ت ٧٢٨هـ ) و إعلام الموقعين عن رب العالمين للامام شمس الدين بن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ) و الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية لابن القيم أيضاً .

كما درست - كذلك على امتداد العالم الاسلامى بعض كتب الفقه المقارن كالمحلى لابن حزم أبى محمد على بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ) ونيل الأوطار للشوكانى قاضى قضاة اليمن (ت ١٢٥٠هـ) ودرست كتب الخراج للامام أبى يوسف(ت ١٢٥هـ)

وليحى بن آدم القرشى ( ت ٢٠٢هـ ) وعلى قلة ، بل و بدون أناة كافية ، درست بعض الجوانب الاقتصادية ، فى كتب التاريخ و الحضارة ، و على رأسها مقدمة ابن خلدون .

فهذه الأمهات - على قيمتها العظيمة - درسها المسلحون أحقاباً دون أن يفكروا فى أن هذه الكتب ليس ترفاً فكرياً ، بل هى ترجمة ( للمذهب الاسلامى الاقتصادى ) . . ويجب أن تجمع هذه الكتب بطريقة مقارنة تجميعية و تنظيمية و بشئ من الفهرسة و التحليل لكى تساعد على بناء هيكل تطبيق اقتصادى إسلامى يقوم على كليات الاسلام الاقتصادية أو أسس نظرية الاسلام الاقتصادية ، فأصبح كل فريق مكتفياً بما لديه ، مستغنياً عن غيره ، حتى أتت فترة من الفترات ظن الناس فيها ، حتى المتفائلون منهم ، أن إقامة بناء إقتصادى للأمة الاسلامية يقوم على المذهب الاقتصادى الاسلامى أمر متعذر إن لم يكن قريباً من المستحيل .

و لم تنبث الدعوة إلى تبنى الاقتصاد الاسلامى من داخل مؤسسات الدعوة ، ولا الجامعات الاسلامية ، وكل ما صدر عنها هو بعض النداءات و الأمنيات . . . بل تبنى الدعوة أفراد مخلصون مغامرون غير ( فقهاء ) ، بل معظمهم ممن تربى فى جامعات غير إسلامية كالدكتور عيسى عبده ( رحمه الله ) الذى له فضل كبير فى هذا الباب مع أنه لم يدرس فى جامعة إسلامية و لا فى معهد دعوة أو كلية شريعة ولا يوماً واحداً ، بل المعروف أن أباه كان نصرانياً ، وأنه اعتنق الاسلام عن عقيدة ، وسمى ابنه ( عيسى عبده ) أى ( عيسى عبد الله ) و ليس ( ابن الله ) تعبيراً عن عقيدته الجديدة .

و قد لعب الدكتور ( محمود أبو السعود ) دوراً فى هذا المجال ، و هو - أيضاً - لم يتخرج من كلية شريعة أو جامعة إسلامية ، بل يعيش جل حياته فى





أوربا وأمريكا ، وثقافته معظمها من خارج هذه الدائرة الشرعية الرسمية ، و لم يكن سمو الأمير محمد الفيصل - جزاه الله عن المسلمين خيراً - و هو الرجل الذى كان له فضل كبير فى هذا المجال ، من خريجى الجامعات الاسلامية ، بل كان قبل تفرغه لهذا المجال الاقتصادى الاسلامى رئيساً لمؤسسة تحلية المياه بجدة .

والدكتور ( إ براهيم كامل ) مساعد الأمير محمد الفيصل دكتور فى المحاسبة ( غير الاسلامية ) و مثله الدكتور عبد العزيز حجازى - أستاذ المحاسبة الذى انضم أخيراً - و الحمد لله - لأصحاب الاتجاه الاقتصادى الاسلامى .

أما الدكتور جمال الدين عطية مدير بنك فيصل الاسلامى ، فهو دكتور فى القانون ، و قد اتجه الاقتصاد اتجاهاً عملياً ، و لا تحمل خلفيته الاقتصادية النظرية إلا ما يحمله رجال القانون ، والمهتمون عموماً بالفكر الاسلامى ، وقد جند الرجل مجلته ( المسلم المعاصر ) لخدمة الاقتصاد الاسلامى . . . و النماذج كثيرة .

و هى - كلها - تجعلنا نتساءل بدهشة : كيف انحسرت مفاهيم الدعوة إلى الله فى الجامعات الاسلامية بحيث أصبحت بعيدة عن التطبيق ، و ترك المجال لغيرها عن هذا النحو ؟ .

و كيف أصبحت الدعوة مجرد كلام ؟ و مجرد تربية نظرية ، أو على الأكثر تربية سلوكية فردية ، غير مصحوبة بالعمل على تحويل الجوانب النظرية إلى جوانب عملية ؟ بل حتى فى معاهد الدعوة يدرس الاسلام على أنه فكر وثقافة وتراث ، ولم يدرس كناحية ميدانية ، و من الغريب أن كليات الطب تذهب بطلابها إلى المشارح ، و كليات الزراعة تذهب بطلابها إلى الحقول ، و كليات العلوم تذهب بطلابها إلى المعامل ، و كليات التربية تذهب بطلابها إلى المدارس ، أما كليات الدعوة فليس فى معظمها مادة ( الخطابة فى المساجد ) - كمادة ميدانية - و لا مادة ( التقوى

العملية ) من خلال مجالسة الاعلام الصالحين و مخالطتهم ، و هو ما يسمى فى حضارتنا بالمريدين أو التلامذة ، الذين كانوا يقومون مع شيخهم بالليل ، و يصومون معه بالنهار ، و يتزوجون بناته إذا لزمه الأمر ، كما تزوج أبوودداعة ابنة ( سعيد ابن المسيب ) الذى أبى أن يعطيها لابن الخليفة ، و أعطاها لأبى وداعة الفقير .

و البنوك الاسلامية الآن تعانى من فقر إدارى ومحاسبى ومالى كبير ، بسبب أن الاقتصاد الاسلامى ظل قروناً يدرس فى كتب الفقه المذهبى أو الفقه المقارن ، وكان مادة فلسفية نظرية بحتة ، و قد اضطر اتحاد البنوك الاسلامية إلى إنشاء معهد الاقتصاد الاسلامى فى قبرص ، يدرب فيه بعض الخريجين المؤهلين ، ثم يلحقهم بالوظائف الملحة و الفارغة فى البنوك و المصارف الاسلامية .

و لم تستطع الجامعات حتى التى تعطى دكتوراهات فى الاقتصاد الاسلامى ، أن تقدم ( الكادرات ) أو الاطارات التى تحتاج إليها البنوك الاسلامية لدرجة أن الشيخ ( محمد الغزالى ) حث الشباب على العمل فى البنوك الربوية لأخذ الدربة و الخبرة .

و فى شبه القارة الهندية ، و فى العالم العربى ، و فى الأقطار الاسلامية الأخرى - توجد عشرات الجامعات والكليات و الجمعيات تدرس الاسلام وتنشره ، و تبشر به - وكلها تدعو إلى وحدة المسلمين و إلى البعث الاسلامى ، لكن معظمها لا يدرك أن هناك طريقاً عظيماً لم يلتفت إليه لتحقيق الوحدة الاسلامية ، و فرضها كأمر واقع ، حين تتشابك المصالح بين المسلمين كأفراد و جماعات و مؤسسات ، فتضرب عصفورين بحجر واحد ، تطبق فكرنا الاسلامى فى الحياة ونبعثه بعثاً عملياً وحقيقياً من جديد ، وفى الوقت نفسه يوجد دافع أو باعث - بعد باعث العقيدة ،





يجعلنا نحس إحساساً حقيقياً بأننا ندافع عن مصير مشترك و مصالح مشتركة ، و من حصاد الأمرين معاً تتوحد صفوفنا و اهتماماتنا ، و نتخلص من كثير من خلافاتنا النظرية - فلماذا - بدل أن يتصارع المسلمون ويختلفوا حول قضايا ثانوية ، لا يتحدون - مثلا - فى كل بلد على إنشاء بنك إسلامى أو شبكة بنوك إسلامية أو مشروعات تجارية مساهمة .

و هذا ينطبق على الأقليات الاسلامية المتصارعة - أيضاً - فيما بينها ، و لماذا لا ينشؤن مؤسسات مشتركة ، للنشر والتوزيع تستطيع أن تنشئ جريدة يومية ، وأن تستغل كل وسائل المواصلات الحديثة ؟ - و لماذا لا ينشون مجامع علمية تشترك فيها كل الهيئات ، فينجزون - مجتمعين - أو بتوزيع متناسب - دائرة معارف إسلامية بلغتهم ، أو بعض المعاجم التاريخية و الجغرافية والمهنية ؟ .

- و لماذا لا ينشؤن شركات تجارية على أسس الاقتصاد الاسلامى ، كشركات البلاستيك ، و اللحوم المذبوحة إسلامياً ، و الأقمشة ، و غيرها ، فيتيحون فرص الاستثمار للمواطنين المسلمين ، و يعود الخير على الجميع ؟ و لماذا لا ينشؤن ( بدل الكلام و الكلام المضاد والرد على الرد ) شركات للسمعيات و المرئيات ، تنتج قصصاً و أفلاماً - فى الاطار الاسلامى للفن - فضلا عن الأشرطة السمعية . . . ؟ .

- و الأفكار كثيرة ، و المشروعات متعددة ، وكلها تمثل الطريق العملى لوحدة المسلمين . . طريق الوحدة عن طريق الشعب المسلم . . تلك الوحدة التى تزيل الخلافات ، و تقضى على الخصومات ، و تنهى ذلك العصر الكئيب . . عصر الحرب بالكلمات . . و الله الموفق .

# آراء الامام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى
# فى
## تاريخ التشريع الاسلامى

-١٠-

الأستاذ سلمان الحسينى الندوى

وأحب أن أختم ذكر الامام البخارى بمقدمة الامام الدهلوى لرسالته فى شرح تراجمه بتخليص و إختصار :

كانت المصنفات قبل الام البخارى فى علم الحديث مدونة فى أربعة فنون : ١- فن الفقه ٢- فن التفسير ٣- فن السير ٤- فن الزهد و الرقاق ، فجمع الامام البخارى كل هذه الفنون و جرد لها الأحاديث الصحيحة ، و أراد أن يفرغ جهده فى الاستنباط من الحديث ، و يستنبط من كل حديث مسائل كثيرة جداً ، و هذا أمر لم يسبقه إليه غيره ، غير أنه استحسن أن يفرق الأحاديث فى الأبواب ، و يودع فى تراجم الأبواب سر الاستنباط .

و جملة تراجم أبوابه تنقسم أقساما :

١- إنه يترجم بحديث مرفوع ليس على شروطه و يذكر فى الباب حديثاً شاهداً له على شرطه .

٢- و قد يترجم بمسئلة ، استنباطها من الحديث بنحو من الاستنباط من نصه أو إشارته أو عمومه أو إيمائه .

٣- و قد يترجم بمذهب ذهب إليه قبل ، و يذكر فى الباب ما يدل عليه بنحو من الدلالة شاهداً ، و يكون شاهداً له فى الجملة من غير قطع بترجيح ذلك المذهب ، فيقول « باب من قال كذا » .





٤- و يترجم بمسئلة اختلفت فيها الأحاديث ، فيأتى بتلك الأحاديث على اختلافها ليقرب إلى الفقيه من بعده أمرها ، مثاله : « باب خروج النساء إلى البراز جمع فيه حديثين مختلفين .

٥- و قد تتعارض الأدلة ، و يكون عند البخارى وجه التطبيق بينها بحمل كل كل واحد على محمل ، فيترجم بذلك المحمل إشارة إلى وجه التطبيق .

٦- و قد يجمع فى باب أحاديث كثيرة ، كل واحد منها يدل على الترجمة ، ثم يظهر له فى حديث واحد فائدة أخرى سوى الفائدة المترجم عليها ، و يعلم على ذلك الحديث بعلامة الباب ، وليس غرضه إن الباب الأول قد انقضى بما فيه ، و جاء الباب الآخر برأسه ، و لكن قوله « باب » هنالك بمنزلة ما يكتب أهل العلم على الفائدة المهمة لفظ « تنبيه » أو لفظ « فائدة » أو لفظ « قف » .

٧- و قد يكتب لفظة « باب » مكان قول المحدثين « و بهذا الاسناد » و ذلك حيث جاء حديثان باسناد واحد كما يكتب « ح » حيث جاء حديث باسنادين .

٨- قد يترجم بمذهب بعض الناس و مما كاد يذهب إليه بعضهم أو بحديث لم يثبت عنده ثم يأتى بحديث يستدل به على خلاف ذلك المذهب و الحديث ، إما بعمومه أو غير ذلك .

٩- و يذهب فى كثير من التراجم إلى طريقة أهل السير فى استنباطهم خصوصيات الوقائع و الأحوال من اشارة طرق الحديث ، و ربما يتعجب الفقيه من ذلك لعدم ممارسته لهذا الفن ، و لكن أهل السير لهم إعتناء شديد بمعرفة تلك الخصوصيات .

١٠– و قد يقصد التمرن على ذكر الحديث وفق المسئلة المطلوبة و يهدى طالب الحديث إلى هذا النوع .

١١– و قد فرق البخارى فى تراجم الأبواب علماً كثيراً من شرح غريب القرآن و ذكر آثار الصحابة و الآثار المعلقة .

١٢– و قد يذكر حديثاً لا يدل هو بنفسه على الترجمة أصلا ، لكن له طرق ، و بعض طرقه يدل عليها إشارة أو عموماً بذكر الحديث إلى أن له أصلا صحيحاً يتأكد به ذلك الطريق .

١٣– و كثير ما يترجم لأمر ظاهر ، قليل الجدوى ، و لكنه إذا تحقق المتأمل أجدى .

و أكثر ذلك تعقبات وتبكينات على عبد الرزاق وابن أبى شيبة فى تراجم مصنفيها ، و مثل هذا لا ينتفع به إلا من مارس الكتابين و اطلع على ما فيهما .

١٤– و كثيراً ما يستخرج الآداب المفهومة بالعقل من الكتاب والسنة بنحو من الاستدلال و العادات الكائنة فى زمانه – ﷺ – ومثل هذا لا يدرك حسنه إلا من مارس كتب الآداب وأجال عقله فى ميدان آداب قومه ، ثم طلب لها أصلا من السنة .

١٥– وكثيراً ما يأتى بشواهد الحديث من الآيات ، وبشواهد الآية من الأحاديث تظاهراً ، و لتعيين بعض المحتملات دون بعض ، و مثل هذا لا يدرك إلا بفهم ثاقب و قلب حاضر .

هذه خمسة عشر وجها ذكرها الامام الدهلوى ، استفاد بعضها من كتب شرح صحيح البخارى وزاد بعضها من بنات أفكاره ، ثم تحدث بتفصيل





عن محتويات التراجم من باب « كيف كان بدء الوحى » إلى « باب قول الله – تعالى – و الله خلقكم و ما تعملون ، و أنا كل شئ خلقناه بقدر » و جاءت الرسالة فى ١٢٩ – صفحة بالقطع المتوسط .

و لم يكن حديثه عن غيره من المحدثين بهذا التفصيل . كما أنه لم يتعرض لأدوار الحديث و لمحدثين بعد عصر هؤلاء الأئمة المحدثين الأربعة ، فكان تناوله لعصور المحدثين مع إيضاح بعض مناهجهم إلى نهاية القرن الثالث تقريباً ، وبالاشارة إلى مناهج بعضهم إلى القرن الخامس كالخطيب وابن عبد البر ، و قد كان من المستحسن فى إستعراض تاريخ التشريع الاسلامى أن يذكر جميع أدوار المحدثين إلى عصره و مناهج أهل الحديث و ما طرأ عليها من ضيق فى الأفق و فى فترات التاريخ التشريعى ، لا شك أنه أشار إليه فى تضاعيف عباراته ، و طيات حديثه عن الفقهاء و المقلدين ولكن لم يكن حديثه عنهم كحديثه عن الفقهاء ، و ما طرأ عليهم من تغيرات ، و جمود و عصبية ، إذ كانت الأوضاع التى عاشها فى الهند تفرض عليه الاسهاب فى هذا الموضوع ، فلم تكن هناك طبقة أهل الحديث ، و لعله لم يدر بخلده أن بعض أتباع الحديث سيشكلون مذهباً آخر باسم « السلفية » فيناضلون دونه ، و يجتهدون قبل إستكمال أدوات الاجتهاد ، و أن الوضع سيؤدى بالفقهاء إلى الحد من شدة الظاهرية .

و قد انتقل الامام الدهلوى بعد ذكر هؤلاء المحدثين فى هذا الفصل إلى ذكر منشأ الفقه و الفقهاء و التخريج ، و الأصول ، و ستكون موضوع حديثى فى الحلقة القادمة إن شاء الله – تعالى – فانه الموفق وهو الفتاح العليم .

« للبحث صلة »

# فصل جديد فى مسلسل العدوان و التشريد

الدكتور غريب جمعة

ذكرت مجلة «المصور» المصرية فى عددها رقم ٣٠٣٢ الصادر فى ٣ من صفر ١٤٠٣هـ الموافق ١٩/ ١٢/ ١٩٨٢م أن بعثتها قامت لتسجل بالصورة و الكلمة على أرض طابا المصرية واحداً من أخطر الانتهاكات الاسرائيلية بافتتاح فندق أفياسونستا الذى تم تشغيله بالكامل فى أول نوفمبر ١٩٨٢م وافتتح بصورة غير رسمية وفى صمت كامل من الخارجية الاسرائيلية ، و النشرة الرسمية للفندق تقول :

«إنه واحد من أضخم الفنادق فى الشرق الأوسط وإنه مقام على منطقة الحدود المصرية الاسرائيلية المتنازع عليها ، و إن أصحاب الفندق أخذوا دعماً و تأييداً من المدعو افراهام شارير وزير السياحة الاسرائيلى ١٥/ مايو الماضى بالاستمرار فى العمل و استكمال الفندق».

وقد صرح ذلك الوزير للجيروزاليم بوست وهو يكمل أكذوبته أن المصريين أعطوا هذه القضيـــة أبعاداً غير ملائمة و إننى ( أى الوزير ) لو رغبت فى منع افتتاح الفندق و أنا لا أنوى أن أفعل ذلك لا سلطة لدى لذلك ! ! ! (هكذا).

و لا تعجب أيها القارىء إذا قرأت مثل هذا الكلام فان لدى إسرائيل من المشروعات ما هو أكبر من افتتاح فندق ! إن مسلسل عدوانها على الوطن العربى وتشريد أبنائه متعدد الفصول طويل الأجل عريض الأمل حافل بالعمل وهل قرأت





عن قناة البحرين؟ إنه مشروع إسرائيلى يمثل فصلا من فصول هذا المسلسل الاجرامى ، فما هى قصة هذا المشروع ؟ و ما هى آثاره و أخطاره ؟ .

نبذة تاريخية :

إن لهذا المشروع جذوراً استعمارية تبدأ من منتصف القرن التاسع عشر حيث راودت الاستعمار الغربى فكرة ربط البحرين الأبيض المتوسط ، و البحر الميت ثم بالبحر الأحمر فالمحيط الهندى ، وذلك من أجل تأمين أقصر الطرق الاستعمارية إلى الهند و شرق آسيا ثم صرفت بريطانيا نظرها عن ذلك المشروع إلى مشروع قناة السويس ، وفى أواخر القرن التاسع عشر فكر مهندس سويسرى فى إمكانية الاستفادة من الفرق فى الارتفاع بين سطحى البحرين الأبيض و الميت ، حيث يرتفع الأبيض عن سطح الميت بحوالى ٤٠٠ مترا وعند ما اطلع يتودور هرتزل إبليس الصهيونية فى العصر الحديث لعنة الله على هذه الفكرة التقطها وتبناها لأنها تتفق مع مطامع الصهيونية العالمية فى الشرق العربى و أشار إلى ذلك فى كتابه أولد نيولاند سنة ١٩٠٢ .

وفى عام ١٩٣٧ قام بعض الزعماء الصهاينة و منهم بن جوريون بجولة ميدانية فى مناطق الأغوار الجنوبية كان من نتائجها بدء التفكير الجدى فى إنشاء القناة ولكن الظروف السياسية حالت دون ذلك فى وقتها ، و بعد هزيمة يونيو ( حزيران ) سنة ١٩٦٧ قامت مجموعة من الخبراء الاسرائيليين ورجال الحكم بجولة ميدانية فى منطقة الأغوار و بدأت بالدراسات الجادة لاقرار المشروع و تنفيذه .

وفى عام ١٩٧٨ تشكلت لجنة أخرى علمية برئاسة أحد موسسى حزب (هتحيا) أى النهضة ، و هو البروفسور يوفال نئمان عالم الطبيعة النووية و رئيس علماء الجيش الاسرائيلى ، و انتهت اللجنة إلى إقرار خط يمتد من شاطئ البحر المتوسط قرب تل القطيفة فى قطاع غزة ثم يمتد جنوباً نحو بئر السبع فعين بقيق على البحر الميت

و قد وافقت حكومة سفاك الدماء بيجين على هذا الخط فى جلستها المنعقدة فى ٢٤ أغسطس (آب) ١٩٨٠م .

وصف القناة :

تبدأ القناة من شاطئ البحر المتوسط قرب تل القطيفة فى قطاع غزة بين خان يونس و دير البلح و تنتهى فى عين بقيق على البحر الميت بالقرب من مساد أعلى طريق عين جدى مروراً ببئر السبع ، و على البحر الميت ستنزل المياه من مسقط كبير ارتفاعه حوالى ٤٠٠ متر و تعمل فيه مولدات للطاقة الكهربائية ستقام هناك و يبلغ طول القناه ١١٠ كيلو مترا منها ٨٠ ك. م. داخل نفق فى الهضاب المشرفة على البحر الميت ، وتقول الحكومة الاسرائيلية: إن مياه المشروع ستشغل فى إنشاء بحيرات للسباحة و تربية الأسماك و إقامة منشآت تبريد فى قلب النقب لمحطات الطاقة الكهربائية و النووية بالاضافة إلى إقامة مشروعات صناعية و كهربائية أيضاً .

أما إن المشروع سيؤدى إلى نهضة صناعية حقيقة فى إسرائيل فسيساهم فى حل مشكلات المنطقة و تغيير وجه النقب .

أما تكاليف المشروع فهى حوالى ٨٠٠ مليون دولار ! و ليس أمام حكومة إسرائيل أى عقبات فى تمويل هذا المشروع حيث قال إسحاق موداعى وزير الطاقة الاسرائيلى :

إن قرشاً واحداً لن يأتى من ميزانية الحكومة لتمويل المشروع .

و بالفعل فقد أخذت هيئات الاستعمار الغربية التى تقع تحت النفوذ الصهيونى تتحرك فى اتجاه توظيف أموالها فى المشروع وقد عرضت مجموعة من المستثمرين من:

١- الولايات المتحدة الأمريكية ..

٢- كندا . ٣- بريطانيا . ٤- إسرائيل .





( والذى نظم هذه المجموعة هو المحامى الصهيونى الكندى روزنبرغ ) عرضت هذه المجموعة استعدادها لتمويل المشروع (هل يسمع المستثمرون العرب والمسلمون ؟) و سوف يستغرق تنفيذ المشروع حوالى سبع سنوات ابتداء من سنة ١٩٨٢ و ذلك بعد الندوة التى نظمتها الجامعة العبرية لمناقشة المدة الزمنية لمشروع قناة البحرين .

أما الأخطار المنتظرة لهذا المشروع على العالم العربى فهى تتمثل فيما يأتى .

أولا : أخطار عسكرية :

سوف تشكل القناة حاجزاً مائياً يصعب اجتيازه فى حالة حدوث مواجهة عسكرية بين إسرائيل و الدول العربية حيث تسبب امتلاء منطقة البحر الميت بالمياه و لذلك فان على القوات العربية أن تفكر جيداً فى عملية برمائية معقدة لاجتياز هذا المانع المائى وحتى فى حالة عبورها ستكون مضطرة إلى أن تسلك الطريق التى يحددها لها العدو ، و ليس من المستحيل على إسرائيل أن تقوم بتطوير تلك القناه حتى تصبح ممراً مائياً دولياً لا يقل أهمية عن قناة السويس ، وعلى ذلك فان قناة السويس المصرية سوف تفقد أهميتها سياسياً وعسكرياً و اقتصادياً و جغرافياً .

ثانياً : أخطار اقتصادية :

تقع هذه الأخطار على الأردن فى المقام الأول و هى عبارة عن :

١- خسارة حوالى ١٠٠ مليون جنيه سنوياً بسبب انخفاض انتاج البوتاس الذى يشكل عاملا هاماً يأتى فى المرتبة الثانية من حيث الأهمية الاقتصادية بعد الفوسفات.

٢- إغراق أجزاء كبيرة من وادى الأردن و عدد من المزارع و القرى والدور وعدد من الأماكن الأثرية و التاريخية كما سيزيد ملوحة تربة الأرض الزراعية وهذا سيؤثر بدوره على الزراعة وعلى الثروة الحيوانية التى تعتمد على الزراعة كما سيؤثر على خزانات المياه الجوفية و بالتالى على مياه الشرب مما يهدد حياة

السكان فى هذه المنطقة .

ثالثاً : أخطار سياسية :

١ــ يمثل المشروع تحدياً جديداً للامة العربية و الاسلامية و سوف يساعد على تدعيم إسرائيل بزيادة عدد المستعمرات و بالتالى سترتفع معدلات الهجرة إلى إسرائيل لسكنى هذه المستعمرات .

٢ــ سوف يعطى المشروع ذرائع جديدة لاسرائيل للاحتفاظ بقطاع غزة و الضفة الغربية ( يهوذا و السامرا كما يطلق عليهما مجرمو الحرب اليهود ) من خلال خلق واقع جديد لأن القناة ستمر فى قطاع غزة و محطة الضخ الرئيسية ستكون فيه .

٣ــ سيؤدى التطور الصناعى الناتج عن هذا المشروع إلى تحويل إسرائيل إلى دولة استعمارية جديدة بالمنطقة تكون مستقلة نسبياً ضمن دول المعسكر الاستعمارى

وبعد : فهذه عجالة عن هذا المشروع المشئوم وعن أخطاره و من يدرى ماذا تخفى الليالى ؟

و الليالى من الزمان حبالى
مثقلات يلدن كل عجيبة

و يبقى سؤال يفرضه الواقع المر على العرب و المسلمين حكاماً و محكومين : ما هو دوركم تجاه هذا المشروع ؟ هل سنظل ندور فى حلقه ندب الحظوظ و لطم الخدود وشق الجيوب وسط بحار السياسة التى تعربد حيتانها فى ضراوة و وحشية؟ إن القضية لن تحل فى موسكو أو لندن أو باريس أو واشنطن كما نريد ، وإنما تحل على أرض الاسلام و فى بلاد الاسلام و بأيد وقلوب و عقول مسلمة على مستوى سيف الدين قطز و صلاح الدين الايوبى رحمهما الله ، أما غير ذلك فلن يسلمنا إلا إلى مزيد من الفصول فى مسلسل العدوان و التشريد . . . و اعتبروا بالتاريخ .





# موازين مقلوبة لحرية الرأى

واضح رشيد الندوى

إن أكبر حرمان تعانيه أى أمة هو فقدان من يشعر بشقائها وآلامها ، ومشاعرها الصادقة ، و يعبر عنها و يسعى إلى معالجتها ، أو على الأقل تخفف آلامها فكرياً باشعارها بأن أحاسيسها و شقاءها قد أبلغت إلى من يقدر على معالجتها ، كالمريض الذى يعانى ألماً يشعر بتخفيف فى ألمه فكرياً ويهدأ برهة من الزمن إذا علم أن هناك من يهتم بحالته ، و يسعى إلى إراحة باله فيها .

كان من شقاء الأمة الاسلامية وهى تختلف فى ذلك عن سائر الشعوب الأخرى أنها حرمت هذه الطبقة من الكتاب و الشعراء و العلماء و المفكرين . الطبقة التى تشعر بآلامها و أسقامها و تفحص أسبابها و تبحث عن جذورها ، و تكب على معالجتها حسب طبيعتها وبيئتها و العناصر التى ورثتها عن تاريخها السابق و كفاءاتها بدون إغفال مواطن الضعف .

فقدت هذه الطبقة لانقطاع الصلة بين عامة الأمة الاسلامية و الطبقة التى توصف بالطبقة المثقفة و أقيمت بينهما حواجز نفسية ، و فكرية و اجتماعية ، فقد كانت هذه الطبقة التى تملك قدرة التعبير ، وقدرة الشعور و الاحساس ، والانفعال و تملك قدرة تسخير القلوب وجذب النفوس ، وغرس المعانى و الأفكار والتوجيه و الارشاد ، أول من استسلم للاستعمار الفكرى و آمن بتفوق الغرب فى سائر مجالات الحياة ، فى عهد الاستعمار الفعلى ، وآثر أن يقطع صلته عن جماهير الشعب و رفض أن يفهم تطلعاتها ، و رغباتها .

وجدت فى عهد الانحطاط فى التاريخ طبيعة التملق و مجانبة الحكام فى العلماء و الأدباء لاستبداد بعض الحكام و لكن الجرأة على قول الحق ، و التعبير عن الضمير لم تكن مفقودة كلياً فى تلك العهود التى تعتبر العهود السوداء ، واعترضت مواقف البطولة لكثير من العلماء فى سبيل مطامع الحكام و منعوهم من التصرف المطلق فى شئون الرعية .

كان من مصلحة الاستعمار الغربى تشجيع الطبقة التى تروج أسطورة تفوق الغرب ، و علومه و نظمه ، فنشأت طبقة كتاب متملقين يطبلون لكل حاكم ثم يلعنونه بعد سقوطه ، أو موته ، وتتحول حسناته سيئات ، وقد كانت هذه الطبقة المرتزقة تلتمس كل خير فى الاستعمار تحبذه و تعتبره أحسن ثقافة ، و أرقى علماً وأزهى فكراً ، و وجوده مصدر خير ، وبركة ، وفضل ، ونفع عظيم ، و كأن الأمة الاسلامية بمثابة طفل صغير يحتاج إلى من يربيه و يثقفه ، أو يعلمه النظافة و الأدب وحسن السلوك .

كانت هذه الطبقه تؤمن بافلاس الأمة الاسلامية فى جميع مجالات الحياة فى الفكر ، و المعيشة و لذلك دعت إلى الانسلاخ عن الماضى ، و عن كل ما يحمل من خصائص وتصفها رواسب العهد الماضى المظلم .

ينتمى إلى هذه الطبقة كثير من كتاب العصر الحاضر ، الذين آثروا أن يسيروا فى ركب المصفقين و المطبلين لكل من يتولى الحكم و هم يقتدون بالكتاب المسيحيين الذين استولوا على الاعلام و التعليم و التربية ، فى عهد الاستعمار و سخروا هذه الوسائل لمصلحة الاستعمار و لم يميز بينهم و بين الكتاب المسلمين للتشابه فى الأسماء و لاختلاطهم بالمسلمين ، ولم يعرف من هو صليبى حاقد يحمل ولاءه للاستعمار أكثر من ولائه لبلاده ، و مواطنيه المسلمين .

تسيطر هذه الطبقة التى ولاؤها لما وراء البحار ، على وسائل النفوذ الفكرى





والتعبير فى سائر أنحاء العالم الاسلامى ، وهى ثائرة على قيم هذه الأمة وخصائصها ، و منحرفة عن طبيعتها و ذوقها و مطالبها ، و هى التى تحيط بكل حاكم ، فتفصله عن الشعب و فكره و تظهر له كأن ما تكتبه و تعبر عنه هو دقات قلب الشعب ، فتكون بين الحكام و الشعوب حاجباً كثيفاً لا يشف منه شئ .

ينتقد الكتاب المعاصرون الحكام السابقين فى العصور الوسطى أنهم كانوا لايعرفون معاناة شعوبهم لوجود الحجاب ، ولكن العصور السابقة لم تكن تخلو فى الواقع من العلماء الذين كانت ضمائرهم حية ، فكانت السلاسل و الأطواق لا تمنعهم من قول الحق ، و لم تكن المحن تثنيهم عن عزيمتهم و يجد الباحث فى التاريخ أمثلة رائعة لهذه المواقف الجريئة منها ما رواه التاريخ أن السلطان سليمان العثمانى انزعج بدسائس و مؤامرات النصارى وإحداث اضطرابات فى المملكة العثمانية من الأرمن وغيرهم فأراد معاقبتهم ونفى من يتولى إثارة القلاقل كلاً لاقرار الأمن والنظام ، فاعترض سبيله كل مرة شيخ الاسلام وقال : إننا لانستطيع أن نفعل أكثر من فرض الجزية ، فامتنع عن إرادته ، وقد توسط العلماء فى مناسبات كثيرة فى عهد الحكم الاسلامى فى الأندلس ، و فى عهد المماليك فى القاهرة ، و العثمانيين ، و كانوا يملكون حق النقض لمعارضتهم التى لا تلين ، و لاستعدادهم لتحمل أى معاقبة على قول الحق ، و كانوا يقومون بواجبهم فى إرشاد الخليفة أو الحاكم ، و يبلغونه رأيهم .

أما العهد الحاضر فهو رغم الادعاء بحرية التعبير ، و احترام العلم و كرامة الايمان توجد فيه كل سلعة ، إلا الرأى الحر ، إن هناك حرية فى الرأى طبعاً ، ولكن هذه الحرية المطلقة تدور حول الدين والقيم ، يتمتع الكاتب فعلا بحرية الاستخفاف بالقيم والتجرؤ على الله ، والرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام البررة ، وتأليف كتب فى الكشف عن استبداد بنى أمية و بنى العباس ، و العثمانيين بل كل حادث

بسيط وتشهيره وطعن الاسلام و بث الشكوك فى المقدسات والاسلام بمثابة التخلف و الرجعية و الجمود و الوحشية ، و لكن لا يوجد قلم فضلا عن أقلام فى العالم بكامله ينتقد سياسة حاكم بلاده أو موظف تافه من موظفى الحكومة ، فاذا حشت السجون بالأبرياء و أعدم عشرات من المفكرين و القادة ، فلا يتجرأ قلم واحد ليعبر عن صوت ضميره، إنه لا يرى إلا العدل و الانصاف، و التقدم فى عهده ، و لا يقدم إلا الحسنات ، لأن الكتاب اليوم تلامذة الجيل الذى تخرج مهارة الاستعمار فاستحلاها ، شوهدت هذه المواقف فى كل مرة تغيرت فيها شخصيات احتلت كراسى الحكم ، فيجرى الانتقال من حسنات إلى سيئات بتغير كل عهد .

إن الكتاب الأحرار فى البلاد لا يقل عددهم ، فكل كاتب حر يهتم الضيق ، حر فى رأيه فى الدين و التاريخ الاسلامى ، و نقد الحكام السابقين ، والنظم السابقة ، ونقد جيرانه بأقسى ما يمكن من كلمات ، وأينما ، لكنه مكفوف البصر ، ومكمم الأفواه ، فيما يحدث حواليه ، فى حياته العامة والخاصة أمام عينيه ، هذه الحرية مكفولة فى سائر البلاد الاشتراكية ، و هى من خصائصها ، فان الأدب يجب أن لا يكون ملتزماً بالدين و الأخلاق و القيم ، و حقيقة التاريخ و البيئة ، لكن يجب أن يكون ملتزماً بعقلية الحكام فيكون خادماً له ، تشف عن طموحه ، ويدوى أنفاسه ، تجد الحرية بهذا المعنى فى أقلام توفيق الحكيم التى يخونه التوفيق دائماً ، و نجيب محفوظ و هيكل ، و أمثالهم فتجد موازين مكفولة تجدهم احراراً مكبلين ، كما قال شاعر أردى يستعرض العالم كله ويجهل نفسه .

إن فقدان الأصوات الحرة ، والمعارضة الايجابية الواعية بالمسئولية ، المسئولية أمام الله و المسئولية أمام العباد ، و مسئولية الضمير ، و فقدان الصدق فى القول ، و العمل مصدر كارثة هذه الأمة التى تتحكم فيها العصابة الغربية و القوية الغربية





على عقول أبنائها المثقفين .

لقد عزل عن الحياة من زمن بعيد العلماء و المصلحون الصادقون و وضعت عليهم الأغلال الثقيلة ، و تم تركيبهم ، فلا يوجد منهم اليوم إلا من يضم صوته إلى صوت المطبلين الآخرين فى صفوف المثقفين الجدد ، فكانت النتيجة أن الأمة الاسلامية يهان شرفها و قيمها فى بلادها بأيدى مواطنيها ، و على مرأى و مسمع من حكامها الذين يدعون أنهم مسلمون .

وهو وضع لايوجد له مثيل فهل يمكن أن يتصور أن تصدر كلمة ضد الشيوعية فى البلاد الشيوعية . وعلى العكس يستطيع الكتاب أن يتقدوا الاسلام و يطعنوه ، فى بلد إسلامى و لا يستطيون أن يكتبوا ضد الصهيونية و الشيوعية و الصرانية .

## معاقبة العمال فى عيد العمال

أقيمت احتفالات فى سائر أنحاء العالم بعيد العمال فى أول مايو ١٩٨٣ كالعادة المتبعة كل عام ، باعتبار ذلك اليوم ذكرى انتصار العمال و كسبهم لحقوقهم ، ويحتفل به كعيد قومى فى الاتحاد السوفيتى والدول الشيوعية ، لأن الشيوعيين يعتبرون أنفسهم محررين للعمال ، و رواد حقوق الطبقات الكادحة ، و لذلك تعقد الاحتفالات الرئيسية فى موسكو ، و تقام استعراضات عسكرية ، تعرض فيها أحدث الأسلحة الفتاكة التى صنعها العمال فى الاتحاد السوفيتى ويتلقى الرئيس وسكرتير الحزب الشيوعى التحية من الجنود وتلقى كلمات للتنديد بالعالم الرأسمالى .

كانت احتفالات هذا العام مظهراً للتناقض فى واقع المجتمع الشيوعى فقد أقام العمال فى بولندا مظاهرات لحقوقهم ضد الحكومة التى تفرض أنواع الكبت والاضطهاد على العمال ، و تحرمهم حقهم المشروع فى تشكيل نقابات حرة و حق الاضراب للضغط على حقوقهم ، و هما حقان مشروعان فى فلسفة الاشتراكية عن العمال . فاستخدم البوليس القوة لتشتيتهم وضربهم بالعصى ، و أطلق النار ، و أحاط البوليس المسلح بمقر منظمة التضامن للعمال التى يتزعمها وليسا عندما كان ينظم حشداً مضاداً

للحشد الحكومى بمناسبة عيد مايو ، كما سد البوليس سائر الطرق المؤدية إلى مقابر العمال الذين قتلوا فى حوادث عام ١٩٧٠ ، وتقع هذه المقبرة خارج باب ترسانة لينن . وقد بلغ عدد المتظاهرين عشرة آلاف فى أحد الأماكن الرئيسية .

وتشكل بولندا علامة لتذمر العمال فى النظام الاشتراكى الذى يقوم من أجل العمال ، فقد حلت الحكومة فى البلاد الاشتراكية محل المستخدمين ، وتتمتع بسائر حقوق المستخدمين بطريق لا تختلف عن الرأسمالية وتمنع العمال من الحقوق المشروعة فلا يستطيعون المطالبة برفع الأجور ، ولا يستطيعون أن يطالبوا بتحسين مستواهم فى السكن ، أو تحديد ساعات العمل ، أو تاليف نقابات حرة ، ويجرى من أجل ذلك الصراع فى بولندا منذ مدة طويلة ، واتخذت الحكومة اجراءات قاسية ضدهم ، وقدشرد بسبب هذه الاجراءات آلاف من البولنديين ، و يعيشون الآن فى بلدان أخرى كلاجئين .

لقد ثبت الآن أن العمال فى الدول غير الاشتراكية ، أكثر حرية ، وأكثر كرامة من العمال فى البلاد الاشتراكية ويثبت ذلك من الواقع أن الباحثين عن العمل يفضلون الدول غير الاشتراكية للعمل ، ولا يفكرون دقيقة فى الذهاب إلى الدول الاشتراكية حيث يعامل العمال كحيوانات مدربة ، وإن مغامرة آلاف من العمال والمواطنين فى البلاد الشيوعية للخروج من بلادهم واللجوء إلى البلاد غير الشيوعية خير دليل على ذلك .

ومما يستغرب أكثر أن تعقد هذه الاحتفالات فى البلاد الاسلامية ، الأمر الذى يدل على جهالة القيادات أو تنكرانها لذاتها ، فان الاسلام يضمن حقوق كل فرد مهما كانت طبيعته و موقفه فى الحياة ، فان كرامة العمل و العمال و حقوقهم التى يتكفلها الاسلام لا توجد فى أى دين أو مذهب جديد ، ولكن الذين لا يدرسون إلا تاريخ غيرهم يتنكرون لذاتهم ، و لتاريخهم و أخلاقهم ، فمثل يوم حقوق الانسان الذى يحتفل به العالم الاسلامى كل عام باعتبارها من معطيات الحضارة الحديثة يحتفل بعيد العمال كمعطيات الحضارة الحديثة ويعتبر الثورة الشيوعية ثورة لتحرير العمال ، والتاريخ و واقع الحياة يدلان على عكس هذا التصور ولكن من لا يعرف نفسه و لا يحمل الوعى لا يمكن أن يعلم .





# الكاتب الاسلامى الكبير الشيخ عبد القدوس الأنصارى فى ذمة الله

فضيلة الأستاذ محمد الرابع الحسنى الندوى
وكيل كلية اللغة العربية وآدابها

من الشخصيات الكبيرة التى توفيت أخيراً الأستاذ عبد القدوس الأنصارى صاحب مجلة المنهل الغراء الصادرة من جدة ، ولد فى المدينة المنورة فى عام ١٣٢٤هـ ، ودرس فى المسجد النبوى الشريف ، حتى برز فى المعرفة الأدبية و العلمية ، وقضى زمنا فى التدريس فى مدرسة العلوم الشرعية ، وكانت المدرسة الوحيدة فى منطقة المدينة المنورة فى ذلك العهد ، ثم شغل مناصب فى إدارات الدولة و أحيل منها للمعاش أخيراً .

كان هذا الوجه من حياته الوجه السطحى العام ولكن الوجه الخاص لحياته والذى حاز المكانة الكبيرة فى الفترة التى عاش فيها من الزمن ، و فى البلاد التى كان ينتمى إليها بوطنيته ، هو وجه حياته الأدبى والثقافى الممتاز ، فقد ساهم فى تكوين الجو الأدبى فى بلاده وعد بذلك من شيوخ الجيل الصاعد فى عصره ، فى الوقت الذى لم تكن فى المملكة السعودية جامعات و كليات ، و لم تكن من الثانويات كذلك إلا عدد أقل من أن تعد على الأنامل ، و لم تكن تصدر من الصحف و الجرائد إلا صحيفة رسمية أسبوعية و هى أم القرى ، من مكة المكرمة .

لقد بذل الأستاذ الشيخ عبد القدوس الأنصارى جهداً مستمراً لا تعاش الروح الأدبية و إنهاض الهمم فى المجالات الأدبية و الثقافية من منبر أدبى و صحفى عظيم مجلة المنهل الغراء .

كانت مجلة المنهل الغراء مجلة أدبية وحيدة تصدر فى منطقتها ، و كانت تشتمل على المواد الأدبية والعلمية الدسمة ، فعظم إقبال الشباب عليها وتغذوا بموادها المفيدة ،

و استمرت المجلة فى الصدور حتى أصبحت لها أقران و أكفاء و لم تبق منفردة فى المضمار ، ولكن ميزتها من بين شقيباتها بقيت واستمرت تحت إشراف منشئها ورئاسة تحرير نجله الكريم نبيه عبد القدوس ، و عكف فضيلة المرحوم الشيخ عبد القدوس الأنصارى على البحث و التحقيق فظهر له من الكتب (١) آثار المدينة المنورة (٢) بين التاريخ والآثار (٣) تاريخ مدينة جدة (٤) بنو سليم (٥) مع ابن جبير فى رحلته (٦) طريق الهجرة النبوية (٧) الطائف تاريخ و حضارة (٨) النخل و التمور فى بلاد العرب (٩) تحقيق أمكنة فى الحجاز و تهامة (١٠) السيد أحمد الفيض آبادى ، وغيرها من البحوث ، و (١) التومعان ( رواية ) (٢) الأنصاريات (ديوانه) (٣) إصلاحات فى لغة الكتابة و الأدب (٤) أربعة أيام مع شاعر العرب عبد المحسن الكاظمى (٥) من وحى المنهل (٦) رئاسة مجلة المنهل ، وغيرها من الكتابات الأدبية .

يمتاز تاريخ جدة من بين هذه الكتب بالاستيعاب العلمى و البحث الأمين الدقيق ، كما أن كتبه الأخرى فى مجال الآثار ، كتب قيمة كلها ، لأن الموضوع كان متروكا إلى ذلك الوقت من الافاضة فيه ، وذلك لأن آثار المملكة العربية السعودية كانت تنال من الآثاريين الجفاء و الاهمال بسبب نسبتها إلى الدين الاسلامى الذى يبغضه أهل الكفر ويستحى منه أهل الاسلام ، و لقد نال من بين كتبه فى البحث كتاب آثار المدينة المنورة رواجاً فقد تلقاه الناس بالقبول العظيم واستفادوا منه كثيراً ، وإن من ميزات الشيخ عبد القدوس الأنصارى هى إفاضته بالبحث فى هذا الموضوع و كشف الحقائق المستورة منها ، فكم أثلج من صدور و قرر من عيون ، جزاه الله تعالى أحسن الجزاء .

وقد سابر الشيخ المرحوم عبد القدوس الأنصارى فى هذا المضمار عالم للأدب آخر ، و هو الشيخ حمد الجاسر من الرياض ، فقد كانا كاتبين متسابقين فى هذا المجال فى المملكة .





لقد جمع المرحوم الشيخ عبد القدوس الأنصارى بين الذوق الأدبى و ذوق البحث و التحقيق ، وكان فى كليهما من فحول الحلبة ، فقد كان قلمه يجرى فى كتابة القصص ، و قول الشعر و تصوير خواطر النفس ، وقد تجلى كل ذلك فى صفحات مجلته الأدبية الرائعة « المنهل » ، و لقد تربى على هذه المجلة جيل الأمس فى المملكة العربية السعودية فهو يحمل فى أطواء قرائحه الأدبية آثاراً منها .

لقد عرفت الشيخ عبد القدوس الأنصارى أولا من مجلته المنهل و من كتابه فى ترجمة مؤسس مدرسة العلوم الشرعية و مديرها الشيخ السيد أحمد الفيض آبادى ثم التقيت به فى مكة المكرمة مع شيخنا السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى .

و قد كانت بينهما معرفة تحولت فيما بعد إلى صداقة ، و مؤدة أخوية وكسبت أنا من ذلك قرباً ومحبة من فضيلة المرحوم ، فقد كان يرحب بى و يبدى عطفه ، و لما صدرت صحيفتنا « البعث الاسلامى و الرائد » و وصلت أعدادها إليه أحاطها بالتشجيع و التقدير ، كان يخص الرائد بعطفه و تقديره بسبب معرفته لى معرفة أقرب من غيرى ، ولا أذكر أنى ما التقيت به بعد ذلك إلا وسمعت منه كلمة تقدير وثناء على صحيفة الرائد ، و هو أمر لا يمكننى أن أنساه فانه إن دل على شئ فيدل على كرم نفسه ، و لا بدع فى ذلك فقد كان أنصارياً تحمل نفسه تلك الرحابة العالية الكريمة التى امتاز بها سادتنا الأنصار ، أنصار رسول الله ﷺ .

تلقينا نبأ وفاته بحزن و أسف بالغين فقد سقط نجم من نجوم المملكة العربية السعودية للثقافة و الأدب و غادرتنا شخصية كريمة كبيرة فى ٦/ رجب ١٤٠٣هـ « فانا لله و إنا إليه راجعون » .

ندعو الله تعالى أن يغفر له زلاته ، و يتغمده برحمته و رضوانه ، و يكرم نزله فى جناته ، و هو على ذلك قدير و بالاجابة جدير .

# أسبوعان فى ندوة العلماء

بقلم : الدكتور عبد الحليم عويس

ترتبط لكهنؤ فى ذهنى بندوة العلماء دار العلوم وترتبط ندوة العلماء فى ذهنى وفى وجدانى بشيخها و إمامها علامة الهند و راعى جماعاتها الاسلامية ، الصيخ السيد أبى الحسن الندوى أطال الله عمره .

و ندوة العلماء هى من الاسلام انطلقت ، و على الاسلام سارت ، و إلى غاياته اتجهت لم تتشعب بها المسالك ، و لم تنحرف بها المنطلقات ، ولم تأخذ باب القائمين عليها الاغراءات ، ولم تنحرف عن غايتها أمام التهديدات والأزمات .

لم تشغل نفسها بالصراع مع مسلم ، بل فتحت صدرها و قلبها لكل مسلم ، و يؤلمها - أشد ما يؤلمها - أن الذين يؤذونها لا يزورونها ، و لا يقبلون ودها ، على الرغم من أنها لم تبادلهم إيذاء بايذاء ، فنهجها « ادفع بالتى هى أحسن السيئة » .

تصفح مجلتيها العربيتين الرائعتين : البعث الاسلامى ، و الرائد ، فهل وجدت فيهما مقالات ( للتفنيد ) أو ( للدحض ) أو ( للرد ) ، أو للرد على الرد ) أو لغير ذلك من ( مصطلحات ) ( الحقد ) التى لا يمكن أن ينفذ من خلالهـا الايمان و لا اليقين ؟ .

كلا . . فانك لن تجد شيئاً من ذلك . . بل هى الفكرة الاسلامية الشاملة المتزنة الهادئة الجميلة الوقورة تتقدم إلى الجميع ، و تتحدث باسم الجميع ، و تدافع عن آلام جميع المسلمين ، و تدعو إلى ( بعث كل المسلمين ) لا تفرق بين مسلم و مسلم ، ما دام مسلماً ، و لا تشغل نفسها بهذه المنزلقات التى تفرق ولا تجمع ، و تفسد ولا تصلح ، و تجعل الأشقاء أعداء ؟ .

و لا غرو - مع هذه الروح - أن تكون ندوة العلماء مترجمـة للجوانب الثلاثة التى نادى بها مؤسسوها ( إصلاح التعليم و التربية وفق الكتاب و السنة و مقتضيات العصر - و تصحيح المفاهيم الدينية وتنقية الأفكار ، وجمع كلمة المسلمين و توحيد صفوفهم و إيجاد روح التسامح بينهم وإنشاء التضامن على جميع المستويات الفكرية و المذهبية ) .

وهكذا عشت فى ندوة العلماء . . . وسط هذه الروح السمحة التى لا تعرف





إلا الحب و التواضع و إنفساح الروح ! ! عشت أسبوعين ، و كأنى خارج من زحمة هذه الدنيا وصخبها ، منعتق من ماديتها وصراعاتها . . لا يكاد يربط شعورى بخارج هذا العالم الجميل إلا صبية ثلاث زغب القطا تركتهم خلفى فى الرياض . . بكوا فراقى ، و ينتظرون بلهف يوم التلاقى .

و كنت ألقى محاضراتى فى ندوة العلماء على حياء . . فيقدمنى الاخوان بما لست أهلا له . . و كم كان يخجلنى و يسعدنى فى الوقت نفسه - أن يصر مولانا أبو الحسن على الندوى - أدام الله عزه و شرفه وأطال عمره - على حضور بعض محاضراتى ، وأن يتولى تقديمى ، و أن يثنى على الجامعة الكريمة التى أوفدتنى (جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض) وعلى معالى مديرها الكبير ، الذى يمثل واجهة كريمة من واجهات العمل الاسلامى الرشيد ، الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركى ، سواء فى المملكة العربية السعودية ، حرسها الله للاسلام ، أم خارج المملكة ، - ثم يتولى - بعد ذلك ، التعليق على محاضراتى ، بل وتلخيص أهم جوانبها باللغة الأردية .

فيا لله ، كم هى سويعات جميلة ، عشتها صحبة هذه الجماعة السلفية المؤمنة ، التى تجمع بين عبق الماضى الرائع الأصيل ، وحداثة الحاضر بكل مافيه من معنى جميل .

و قد حلت هنا المعادلة التى صعب حلها على الكثيرين ، فهنا لا صراع بين الماضى و الحاضر ، بل ينسكب الماضى فى الحاضر انسكاب الماء الزلال فى الأرض الخصبة الذلول .

فشكراً لله ، صاحب الفضل والمنة ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

و شكراً لجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية و لمعالى مديرها ، ولفضيلتى وكيلها ، و للقائمين عليها ، و لعميد كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الامام ، و شكراً للعلامة المجاهد الشيخ أبى الحسن على الندوى ، ولندوة العلماء التى أعطتنى من روحها وحبها ، الكثير ، و التى علمتنى درساً يكافىء كل دروسى لطلابها .

علمتنى أنه بالحكمة والتسامح والحب ينتشر الاسلام و تتصلح النفوس ، وأما الحقد والتشنج فليسا الطريق لصياغة حياة إسلامية ، و لا لصناعة حضارة إسلامية

## أخبار اجتماعية و ثقافية :

### احتفال الأزهر بالعيد الألفى
### هكذا يجب أن يستمر الأزهر

أخيراً : وبعد أن انتظر المسلمون كثيراً ، أقيمت احتفالات الأزهر الشريف ، وسط حشد هائل من المدعوين من كل أقطار العالم ، والأزهر عزيز على كل المسلمين . هو عزيز بماضيه ، وعزيز بمستقبله الذى يؤمل أن يعبر إليه عشرات العقبات و أن يجتاز فى سبيله الصعاب .

وأما حاضر الأزهر ، فهو الأمر الذى يقف كالجملة الاعتراضية فى تاريخه الميمون . . إنه حاضر يحتاج إلى علاج كبير . . حتى يستطيع الأزهر إعادة ماضيه المجيد إلى الحياة . لقد أحب الناس الأزهر قلعة من قلاع الدفاع عن الاسلام . . . .

و هكذا يجب أن يستمر الأزهر ! !

و لقد أحب الناس شيخ الأزهر إماماً من أئمة المسلمين ، و ليس موظفاً يخضع لقرار ، يولى به ، و يعزل . .

و هكذا يجب أن يعود الأزهر . .

و لقد أحب الناس الأزهر .. لعلمائه العاملين ، و برجاله الذين لا يخشون فى سبيل كلمة الحق لومة لائم ، و لا يلوون أعناق النصوص القرآنية ليكيفوها مع أهواء الحاكمين ، و لا لكى يقضوا بهذا التكييف على عناصر الثبات فى الاسلام بشريعته الخالدة . . .

و هكذا يجب أن يستمر الأزهر





لقد كان الأزهر جامعاً و جامعة ، و كان رمز عقيدة و حضارة ، و كان مصنعاً لتخريج العظماء ، و الذين أحبوا الأزهر ، و الذين قدروه ، إنما أحبوه و قدروه لهذه المعانى الكريمة العظيمة .

لقد حضر احتفالات الأزهر الرئيس محمد حسنى مبارك ، و الرئيس ( عبد القيوم ) رئيس جزيرة مالديف الذى تخرج من الأزهر ، و لم يحضر غيرهما فى مستوى الرؤساء .

و كنا نتمنى لو حضر جميع رؤساء المسلمين ، لأن الأزهر جدير بذلك ، فهو أفضل للمسلمين مع جامعات الشعوب الاسلامية و جامعات الشعوب العربية ، بل و الجامعة العربية نفسها ، فالأزهر وحد فكر المسلمين و ثقافتهم ، و هذه الجامعات مزقت المسلمين ، و لم ينجح أسلوبها فى الترقيع .

و يوماً ما - باذن الله - ستعود للازهر مكانته ، و سيحضر جميع رؤساء المسلمين للازهر ، و سيستأنف الأزهر دوره الريادى لحضارة المسلمين ، حافياً على كل العاملين للاسلام ، و عاملا على نهضتهم من كبوتهم . . « و يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله » .

### زيارة علمية و إسلامية

زار ندوة العلماء موفداً من جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض ، على دعوة من ( ندوة العلماء ) الدكتور عبد الحليم عويس الكاتب الاسلامى المعروف .

و قد عاش الدكتور نحو أسبوعين مع إدارة الجامعة و طلبتها حيث غطى برنامجاً من المحاضرات العامة ، فى الفترة من ( ٢١/ إبريل وحتى ٣/ مايو ١٩٧٣م ) و من أبرز المحاضرات التى ألقاها المحاضرات التالية .

١— محاضرة حول ( فلسفة التاريخ أهميته و آفاقه و منظوره الاسلامى ) و أهمية ابتداع علم « فقه التاريخ » .

٢— محاضرة بعنوان : الدعوة الاسلامية ، تطلعاتها و مشكلاتها .

وقد قدم لهذه المحاضرة سماحة الشيخ أبى الحسن على الندوى ولخصها بالأردية.

٣— محاضرة بعنوان : ماذا يقدم الاسلام للحضارة الحديثة ؟ .

٤— محاضرة بعنوان : سقوط الأندلس : التجربة التاريخية و العبرة الحضارية .

٥-٦- محاضرتان حول : فقه السيرة النبوية بين الدلالات التاريخية والركائز الحضارية .

هذا و قد حضر الدكتور عبد الحليم عويس حفلات التخرج ، و حفلات التكريم التى أقامها الطلاب محبة سماحة الشيخ أبى الحسن الندوى كما حضر حفل تكريم خاص أقامه على شرفه سماحة الامام أبى الحسن الندوى ، كما تفقد الدكتور مرافق الندوة و قدم بعض الاقتراحات .

و زار الدكتور عويس - كذلك - تكية علم الله فى ( رائے بريلى ) ، ليشكر سماحة الشيخ الندوى وندوة العلماء على الأيام الطيبة التى قضاها فيها ، و على التكريم الذى حظى به .

و فى كل ذلك كان الدكتور يحمل إلى المسئولين و إلى طلاب ندوة العلماء تحيات جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية الفتية ، و تحية معالى مديرها الأستاذ الدكتور عبد الله التركى و فضيلة وكيليها الدكتور الشيخ محمد العجلان ، و الدكتور الشيخ عبد العزيز السعيد وتحية فضيلة عميد كلية العلوم الاجتماعية الدكتور محمد سالم العوفى .

و ندوة العلماء تشكر لجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية موافقتها الكريمة على إيفاد الدكتور عبد الحليم عويس وتتمنى دوام ازدهار العلاقات بين المؤسستين فى تحقيق رسالتهما السامية .



## كتب حديثة

تلقينا منذ شهر تقريباً كتاباً قيماً حول الطب الاسلامى ، باسم « الطب فى ضوء الاسلام » لمؤلفه المؤمن الدكتور غريب جمعة من مصر العربية ، و الكتاب فى الواقع محاولة ناجحة فى وصف ما يتعرض له الانسان فى حياته من أمراض و انحرافات صحية ، فى ضوء تعاليم الاسلام ، و علاجها بالمواصفات التى تشير إليها الآيات الواردة فى كتاب الله والأحاديث المروية عن رسول الله ﷺ .

و الكتاب يقع فى ١٦٠ صفحة بالقطع المتوسط و يحتوى على موضوعات نستطيع أن نقدر منها قيمة الكتاب و هى كما يأتى :

★ الرحلة المشئومة فى جسم الانسان ★ حول فتوى البيرة ★ حرمان و لكنه عافية و علاج ★ نحو وعى صحى أفضل ★ و إن لكم فى الأنعام لعبرة ★ ولكم فيها منافع كثيرة ★ ومنها تأكلون ★ و للسرفين أمراضهم ★ للنوم آية من آيات الله ★ أكثر الأوجاع شيوعاً ★ الايمان بالله أساس الصحة النفسية .

أهدى إلينا فضيلة الشيخ فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومى من الرياض كتابه القيم « منهج المدرسة العقلية الحديثة فى التفسير » .

تناول المؤلف فى هذا الكتاب « منهج المدرسة العقلية الحديثة فى التفسير » نظراً إلى خطورة هذا المنهج من بين المناهج العلمية والأدبية والاجتماعية ، ذلك أن المدرسة العقلية ترفع درجة العقل إلى مرتبة الوحى وتعتبر رجالها أرفع من كل شبهة .

تحدث المؤلف فى هذا الكتاب عن تلك الطائفة التى عاشت فى مصر واجتمعت على وحدة المنهج فى التفسير ، بجميع قواعده و أسسه ، و وحدة الهدف و وحدة اللغة و البيئة ، و حتى وحدة الظروف التى مرت بها و ألجأتها إلى سلوك المنهج العقلى فى القضايا القرآنية .

هذه المدرسة العقلية أسسها جمال الدين الأفغانى وتلميذه محمد عبده وتلاميذهما حتى رسخت فى الأذهان وانتشرت بين علماء الاسلام .

أسس المؤلف دراسته هذه على بيان نشوء التفسير و تطوره ثم على نشأة المنهج العقلى القديم فى التفسير ، و بين مكانة العقل و وظيفته و درجته الرفيعة التى أحله الاسلام فيها ، و تحدث بشئ من التفصيل عن منهج المدرسة العقلية القديمة ، الذى انتهجه المعتزلة ، ذلك لكى تتضح أبعاد الصلة بين المدرستين القديمة والحديثة .

قسم المؤلف كتابه بين جزأين و فى ستة أبواب رئيسية ، ففى الباب الأول تحدث عن رجال المدرسة العقلية وفى الباب الثانى عن منهج المدرسة العقلية الحديثة بغاية من الايضاح و التفصيل ، وفى الباب الثالث عن بعض آراء هذه المدرسة فى بعض علوم القرآن ، و قسم هذا الباب إلى ثلاثة فصول ، الأول فى ترجمة القرآن الكريم ، و الثانى فى القصة فى القرآن ، و الثالث فى بيان إعجاز القرآن الكريم .

أما الباب الرابع فخصه بالحديث عن آراء المدرسة العقلية الحديثة فى بعض قضايا القرآن كالوحى ، والبعث و أمارات الساعة ، و القضاء و القدر ، والمعجزات و أصل الانسان ، و الملائكة ، و الجن ، و فى الباب الخامس أورد نماذج من تأويلات رجال هذه المدرسة لآيات من القرآن الكريم ، وفى الباب السادس الأخير تحدث عن أثر هذه المدرسة فى الفكر الاسلامى الحديث .

وفى خاتمة البحث وجه المولف نداء إلى جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية لتتبنى الدعوة إلى عقد مؤتمر لتفسير القرآن الكريم على أساس منهج السلف الصالح من علماء و أئمة الاسلام .

والكتاب فى الواقع بحث علمى قيم يستحق أن ينال عناية العلماء ممن يشتغلون بدراسة القرآن الكريم وشرح معانيه كما أن هذا الكتاب يفتح آفاقاً للتفكير والنقاش فى هذه المدرسة العقلية الحديثة التى ظلت موضع بحث وجدال منذ وجودها .